تاريخ ليبيا العام

من القرون الاولى إلى العصر الحاضر

(الجزء الأول)

بقلم الاستاذ:

محمد بن مسعود

تقديم خاص للصحفي القدير:

فاضل المسعودي





قررت إدارة المعارف الطرابلسية تدريسه للسنة الخامسة الابتدائية

تاريخ ليبيا العام

من القرون الاولى إلى العصر الحاضر

الجزء الأول

بقلم الاستاذ

محمد بن مسعود

المتخرج في دار العلوم العليا بالقاهرة

ومدرس التاريخ بمدرسة طرابلس الثانوية

الطبعة الاولى

1368 هـ. طرابلس الغرب المطبعة العسكرية البريطانية 1948 م.

تاريخ ليبيا العام

من القرون الاولى إلى العصر الحاضر

(الجزء الأول)

بقلم الاستاذ:

محمد بن مسعود

تقديم خاص للصحفي القدير:

فاضل المسعودي



هذا .. الكتاب

" الأمة التى تنسى هى الأمة التى تموت "

" الوطن الذى ليس له ماض .. لن يكون له حاضرا "

تلك هى " الكلمات " المشحونة بالدلالات المؤثرة والاشارات العميقة التى كان يرددها لتلاميذه . منذ ستين سنة . العالم . والأستاذ . والمؤرخ الليبى الكبير محمد بن مسعود . الذى يستحق بجدارة أن ينعت بـ (أبو المؤرخين الليبيـ) .. انه مؤلف (تاريخ ليبيا العام) هذا الكتاب القيم الذى تنشره (تاوالت) الآن . على موقعها لتمكن الأجيال الليبية الجديدة من معرفة مدى أصالة أمتهم الليبية وجذورها الضاربة فى أعماق التاريخ . على هذه الأرض.

العالم والأستاذ والمؤرخ محمد بن مسعود افشيكه . ولد بمدينة مصراته سنة 1904 وتلقى تعليمه الأوّلى فى كتاتيبها . والابتدائى فى المدارس الأهلية بطرابلس وواصل تعليمه فى تركيا . وعمل مدرسا فى الشام . ثم التحق بالأزهر. وكان أول طالب ليبى يدخل كلية (دار العلوم) جامعة الملك فؤاد بالقاهرة . ويحصل على شهادتها الجامعية .

فى منتصف الثلاثينات من القرن الماضى عاد الى وطنه فعيّن مدرسا للتاريخ والجغرافيا والأدب العربى فى المدرسة الاسلامية العليا بطرابلس " تلك المدرسة الجامعية التى تخرج منها الجيل الذى قاد الحركة الثقافية

والتنويرية فى طرابلس بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وشارك فى معركة الاستقلال الوطنى وقامت على كفاءاته المتعددة كوادرالدولة الليبية المستقلة التى أعلنت فى 24 ديسمبر 1951 .

* ألف محمد بن مسعود هذا الكتاب التاريخى القيم . لطلاب المرحلة الابتدائية . بأسلوب مدرسى فريد وممتع وسهل الاستعاب والاستفادة . معتمدا على سعة اطلاعه وغزارة مصادره وتمكنه من اللغة العربية وقدرته على الكتابة بهذا الأسلوب الأنيق الجميل والقدرة على الايجاز والتلخيص، ملتزما فى سرده لأحداث التاريخ بروح علمية نزيهة وأمينة وصادقة مع وقائع التاريخ وتعاقب أحداثه لم يلتزم بها غيره من الذين تصدوا للكتابة فى التاريخ !

* وصدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب . الذى تنشره (تاوالت) سنة 1948 . أى قبل حوالى الستين سنة . بواسطة (المطبعة العسكرية البريطانية) وهى المطبعة الوحيدة التى توفرت لها امكانيات الطباعة فى تلك الفترة ! وبعد صدوره بفترة ظهرت عدة كتب فى تاريخ ليبيا ولكنها جميعا كانت مجرد استنساخ غير أمين لما كتبه ابن مسعود . بلغ حد التجاوز على الأمانة العلمية التاريخية والتشويه المتعمد فى الكثير من الأحيان خدمة لنزعات عنصرية . وتيارات سياسية معيّنة !

* محمد بن مسعود تعرض فى بلاده للتجاهل والتهميش والجحود وعدم التقدير النزيه لكفاءاته العلمية والتربوية كأبرز من عرفت ليبيا من رجال التربية والتعليم . ولم ينل حظه كاملا من الاعتراف بمكانته العلمية وجهوده التربوية وعاش الأستاذ والعالم . مغمورا ومجهولا فى بلاده حتى وافته المنية سنة 1990 .

* صدرت لمحمد ابن مسعود عدة كتب فى التاريخ واللغة والجغرافيا ، وعمل مدير للمدرسة الاسلامية العليا ومفتشا بوزارة التعليم ووكيلا بالوزارة وله العديد من الدراسات والأبحاث التى لم تر النور بعد ! ولكن كتابه هذا المدرسى عن تاريخ ليبيا العام يبقى من أعظم ما قدم الرجل لأمته الليبية وأجيالها المتعاقبة . لكى تعرف تاريخ بلادها وتكتشف اصالة وعراقة أصولها وتصمد فى وجه محاولات الاستيلاب وجهود الغزاة لتشويه التاريخ وتزييف الحقائق .

فاضل المسعودي

2006/09/07

المقدمة

حمدا لمداول الأيام بين الناس، وصلاة وسلاما على أنبيائه جميعا، وأخص منهم من ليس في أقواله مين ولا باس.

وبعد، فهذا تاريخ الليبيين من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، أخذت معلوماته من نيف وخمسين مرجعا، منها الأوروبي والعربي والتركي، ومنها روايات لعقلاء أمناء ظهر بعد التحري صدقها، ثم معلومات كثيرة جمعناها من جهات مختلفة ليس في أخبارها ريب.

ولقد اكتفيت هنا بذكر بعض من تلك المراجع وسكت عن الباقي خشية من التطويل، واعتمدت في كتابتي إياها دائما على المنطق السديد واللفظ القريب والارتباط الفني والنزاهة التامة في سرد الحقائق. إذ لو لم يكن المؤرخون أمناء في رواية الأخبار، ما قرأ أحد لهم كتابا، ولا فسدوا بالتعرض أذهان الناس، لا يهتدون للتمييز بين الخائن والمخلص، ولا غرو بذلك، فان كذبة المنبر بلقاء مشهورة، ومن الواجب أن نقول الحق ولو على أنفسنا.

ومهما يكن فليس ما اشتمل عليه هذا المؤلف إلا ثقافة عامة للناشئين ومبدأ ليتوسع به في المستقبل الكبار المنتهون، لأنه ما أوتينا من العلم إلا قليلا، وحسبي الله ونعم الوكيل.

المؤلف

محمد بن مسعود

مسائل التاريخ

(2 – 1)

التاريخ

نســمع الناس يذكرون في أقوالهم كلمــة التاريخ، ونجدها أيضا مكتوبة التاريخ في نفس المناهج المقررة للمدارس فنتســاءل قائلين: لئن عرفنا النحو يصحح الكلام والحساب يربي الفطانة: إذن ففي أي شيء يبحث التاريخ؟ وما فائدته للإنسان؟ وها نحن نعرفك إياه تعريفا يجعلك شغوفا بقراءته، لما فيه من قصص جذابــة الحوادث ووقائع للحروب تخالهــا حاصلة أمام عينيك ولما فيه من حكايات ممتعة لا يمل الإنسان من استماعها.

تعريفه

فالتاريــخ هو علم يذكر جميع الحــوادث الماضية التي مرت على حياة الأمم والــدول، ويذكر ما قامت به من الأعمــال النافعة والحروب الدامية، ويصف لنا أحوالهــا الاجتماعية في نظم الحكومات وطرق المعيشــة، وما خلفت للذين أتوا بعدها من آثار المباني والحضارة وفنون العلم والآداب.

أنواعه

وليــس من الضروري أن يكون التاريخ مختصا بحياة الأمم وحدها، بل يجوز أن يختــص أيضا بحيــاة الرجال العظام ممن خدموا أوطانهــم بأعمال جليلة واستحقوا من اجلها الصيت الحسن وإعجاب الناس جميعا.

أمثلته

فمن أمثلة النوع الأول فتوحات العرب بعد ظهور الإســلام، وتاريخ الفرس والرومــان والفراعنــة، ومن أمثلة النوع الثاني وهو حيــاة الأفراد تاريخ عمر بن الخطاب واسكندر المقدوني وهانيبال القرطاجني.

فوائده

ومــن فوائده انــه يطلعنا على تجارب الناس الغابرين، ويرينا كيف نشــأت المدن وعمرت بالســكان ونعرف به الأجناس البشــرية مــن جهة الأصل الذي تفرعت عنه، وما عمل هؤلاء جميعا من خير أو شر، فنزداد بذلك علما بحقائق الأمور والأشياء، ونتحصل على ثروة طائلة من المعلومات القيمة.

مصدره

ويقتبس المؤرخون أبحاثهم من الأخبار المســجلة فــي كتب الأولين، ومن بقايــا الآثار كأطــلال مدينة لبــدا قرب الخمــس وأطلال شــحات ببرقة، ومن القصص المنقولة عن الأشــخاص العقلاء، ومن مخلفات النقود والأســلحة والحلي وغيرها.

مؤرخ صغير

فمثلا لو ذهبت زائرا لمتحف الآثار الطرابلســية أو لقوس (ماركو لوريليو) الكائنــين في محل باب البحر، أو تفرجت على أطلال لبدا وصبراتة وشــحات، وعاينــت ما فيها مــن تماثيل ونقــوش وخرائب لاســتفدت من تلــك الزيارات معلومات نفيســة قــل أن تعثر عليها فــي مكان آخر، وهي اقل نســيانا من معلومات الكتب، ومتى تجلس خلف المائدة وتمسك القلم فتسجلها بعبارات واضحــة المعاني أو تحدث بها غيرك ممن لــم يرها من قبل، تكن في هذه الحالة

كأنك مؤرخ صغير يروي الحقائق بالأدلة الصحيحة التي يثق بها العلماء وينتفع بأخبارها القارئون لها جميعا.

صلته بالجغرافيا

ولكن التاريخ الفني المستوفي لوسائل الإيضاح لابد لمؤلفه من أن يبين فيه أسماء الممالك والبلدان بتخطيط جغرافي يثبت مواقع الأمكنة بالنسبة للجهات الأصلية والفرعية من قارات الدنيا. وبالنسبة لأبعادها أيضا. فحين تسمع بحادثة جرت في إحدى الممالك البعيدة وتجهل مكانها. فانك تبادر سائلا باين تقع هذه المدينة المتحدث عنها. وفي أية بلاد هي. أو تقول كم كيلومترا تبعد عنا. وربما لا تفتر عن النشدان أو لا يرتاح بالك حتى تجاب إلى سؤالك. ومن هنا نفهم ارتباط التاريخ بالجغرافيا. وانه لا تتم المعرفة لحوادث امة من الأمم حتى يعرف الإنسان مكان وجودها ويعرف أحوال أراضيها من جهة الخصب والجفاف وتقلبات جوها من ناحية البرودة أو الحرارة.

حوادث التاريخ

والحوادث الكبيرة التي تحصل للناس مدة حياتهم هي التي يبنون عليها تاريخهم فالعرب حسبوا أيامهم بغزوة الأحباش لمكة فقالوا عام الفيل. والنصارى حسبوا أيامهم بمولد سيدنا عيسى بن مريم البتول. والمسلمون حسبوا أيامهم بهجرة سيدنا محمد إلى المدينة المنورة. وما زلنا إلى الآن نسمع إن زيدا مثلا ولد عام الغرامات الأولى وان عمرا مات العام الذي أرسلت فيه المواشي إلى بنغازي.

سببها

والسبب في هذا إن الحادث العظيم لا ينساه الفكر ولو طال عليه الوقت.

تسميات

ولكي يسهل على المؤرخين معرفة السنين الماضية اتفقوا على أن يسموا كل ثلاثين سنة بالجيل وكل مائة عام بالقرن أو العصر. وقالوا للازمان التي لم يعرف لها تاريخ مضبوط عصور ما قبل التاريخ. وقالوا لحياة الإنسان بعد اهتدائه للكتابة عصور ما بعد التاريخ.

القرون

وجعلوا عصور ما بعد التاريخ ثلاثة أقسام. أولى وهي منذ بدء الخليقة إلى تأسيس مدينة روما بايطاليا. ووسطى وهي من بناء روما إلى نهاية الدولة البيزنطية التي كانت عاصمتها القسطنطينية المعروفة الآن باستانبول. وأخيرة وهي من فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح العثماني إلى الوقت الحاضر. ومن المحتمل في المستقبل أن يكون اكتشاف الذرة عصرا جديدا للعالم.

هيرودوت

وأقدم المؤرخين هو هيرودوت الإغريقي وقد عاش قبل الميلاد بخمسمائة سنة. وجاء إلى ليبيا وتجول في أنحائها وكتب عنها كثيرا.

الكتابة

والزمن الذي عرفت فيه الكتابة كان منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد. وقد ابتدأ الإنسان الأول في تعلمها برسمه أشكالا تدل على المعنى القائم في نفسه فرمز للكلام برسم مفتاح لأنه واسطة يفتح به الشيء المقفل. ورمز للمراسلة البعيدة بصورة لطائر منشور الجناحين. ورمز للحرب أو المخاصمة بشكل سهمين متعاكسين. ثم توصل من أمثال هذه الرموز إلى تكوين اللغة.

اللغة

وإذا كنا الآن لا نقدر أن نحصي لغات العالم الكثيرة، فقد كان البشر في بدء الخليقة ينطقون بلغة واحدة ذات ألفاظ قليلة جدا ربما لا تزيد في بعض قبائلهم عن خمسين كلمة، لأنهم كانوا متوحشين فلا يحتاجون من الكلام سوى ألفاظ منحصرة في أدوات المعيشة الضرورية.

أصلها

ولان اتساع اللغة دائما يتبع ازدياد الرقي والعمران، ثـن تفرعت اللغات بتفرع الشعوب والقبائل، ويؤيد قولنا إن لغات البشر ترجع كلها إلى أصل واحد كلمة ارض، فهي باللغة العبرية هاآرض وبالتركية يار وبالايطالية تيرا وبالفرنسية تير وبالانجليزية ارث ومن دوران حرف الراء في هذه اللغات وتشابه النطق واتفاق المعنى في استعمالها أيضا لكلمة قط وأب وأم يثبت عندنا الكلام المتقدم وهو قولنا أن أصل اللغات واحد.

البشر

وحسبما اخبرنا التوراة والإنجيل والقرآن، وهي الكتب المنزلة من قبل الله على رسله الصادقين، فان البشر هم ذرية سيدنا آدم وحواء، والتاريخ الذي وجدوا فيه والمكان الأول الذي سكنوها لم يضبطهما احد من العلماء بعد، ولكن كثيرا منهم يقول إن موطن البشر الأصلي كان في قارة آسيا ويرجحون انه كان بأرض العراق.

أجناسهم

وقسموهم باعتبار الألوان إلى ثلاثة أجناس الأبيض والأسود والأصفر ونشأ عن هذه الألوان جنس آخر هو الأحمر.

مساكنها

فالبيض يسكنون في جنوب غرب آسيا وقارة أوروبا وشمال أفريقيا، والصفر موطنهم في شرق آسيا وجزائر اندونيسيا بالمحيط الهادي قرب الصين، والسود يسكنون في منتصف وجنوب أفريقيا، وموطن الحمر بالدنيا الجديدة المعروفة بأمريكا.

اختلاطهم

وبتأثير الحروب وانتقال البشر من مكان إلى آخر اختلطت تلك الأجناس مع بعضها البعض بالتزاوج والتناسل، ونشأ عن هذا الاختلاط ألوان من الناس مختلفة في الصورة والشكل.

المناخ

على انه مناخ الإقليم له أيضا تأثير قوي في تغيير الألوان فشدة البرد في الشمال الأوربي جعل أهله بيضا، وشدة الحر في أواسط أفريقيا جعل أهلها سودا، والطفل يرث لون أبويه كما يرث عنهما الطباع والأخلاق وأرقى الأجناس هي الشعوب البيضاء.

الحضارة

وبهذه المناسبة إذا مرت بك فيما يأتي كلمة المدنية والحضارة والعمران فاعلم إنها ذات معنى واحد يفيد إقامة الإنسان في بقعة خاصة من جهات الدنيا، اشتغل فيها بالزراعة وبناء المدن، أو حاز لنفسه أراضي واسعة ليتخذها سببا لمعيشته، وأول نشوء الحضارة كان حول الأنهار العظيمة، وأقدمها وجودا حضارة نهر النيل بمصر وحضارة نهري الدجلة والفرات بالعراق.

اختبارات

لم يشغف الناس بقراءة التاريخ؟ وما فائدته للإنسان؟ للمؤرخين تسميات خاصة بالتاريخ فما هي هذه التسميات، وكيف تشرح ارتباطه بالجغرافيا؟ ثم أيهما أوسع لغة الطفل الريفي أم المدني، ولم نجد بعض الناس ابيض والبعض الأخر اسود أو حنطي اللون؟ فسر الإجابة على هذا السؤال بذكر الأسباب الطبيعية وما الفرق بين المدنية والحضارة وعلى أي شيء يدلان؟ ارسم مفتاحا وطائرا وسهمين متعاكسين ثم تكلم عن مناسبة ذكرها في هذا الدرس واذكر دليلا لتفرع اللغات من أصل واحد.

معرفة ليبيا

(4-3)

قلنا في الدرس الماضي إن الحضارة هي إقامة الإنسان في بقعة من جهات الدنيا اشتغل فيها بالزراعة وبناء المدن، والآن نقول إن المكان الذي اختاره أجدادنا الأولون لتوطنهم هو الأرض الليبية التي نعيش عليها الآن.

معناها

وكلمة ليبيا هي لفظ غير عربي، ولم نعثر بعد على حقيقة اللغة التي أخذت منها هذه الكلمة، غير إن هيرودوت يقول: انه في الأصل كان اسما لامرأة بقبيلة من سكان افريقية، وقول غير هيردوت من المؤرخين معناه الأرض الصحراء التي ليس فيها ماء، وقد عرف بلادنا بهذا الاسم من أيام الفراعنة القدماء.

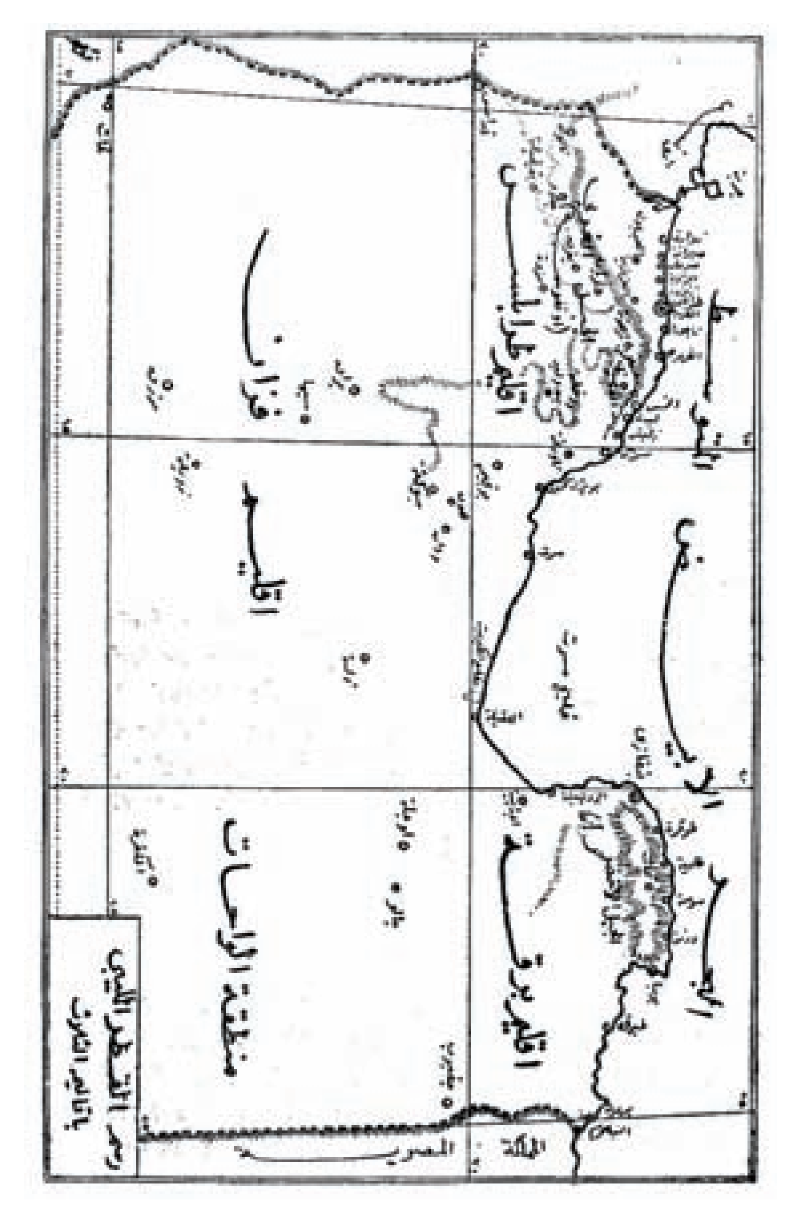
وفي الأزمان الأولى قبل مجيء المسيح، كانت بعض الأمم تريد بها جميع البلدان المغربية، أو جزءا كبيرا من الشمال الأفريقي.

موقعها

وهي تقع في المنتصف الشمالي من قارة أفريقيا، ويحدها شرقا مصر وشمالا البحر الأبيض المتوسط، وغربا تونس والجزائر، وجنوبا الصحراء الكبرى.

أقاليمها

ومنذ عصورها الغابرة كانت تنقسم إلى ثلاثة أقاليم كبار، ليبيا الشرقية (برقة) وليبيا الغربية (طرابلس)، وليبيا الجنوبية (فزان).



خريطة ليبيا بأقاليمها الثلاثة

برقة

فبرقة تبعد عن طرابلس بثماني مائة كيلومتر تقريبا، وتبتدئ شرقا من بردية إلى غرب بلدة اجدابية، وهي من أخصب البقاع الليبية، إذ فيها الجبل الأخضر الذي يعد من مناظر الدنيا الحسان، وفيها الشجر الظليل والنبات الغزير وفيها الينابيع والأنهار الجارية، ومن أشهر مدنها (شحات) المعروفة قديما بسرينا، وكانت أيام اليونان والرومان عاصمة لهذا الإقليم، و(درنة) وهي ذات بساتين نضرة يسقيها نهر يقال له (عين مارة) وكانت معروفة قديما باسم (درنيس) وفي نفس المحل القائمة عليه الآن، و(بنغازي) وهي في الوقت الحاضر عاصمة البلاد البرقاوية ومن اكبر مدنها العامرة بالمباني والتجارة والسكان، وأهالي برقة أكثرهم عرب يسكنون الخيام، وأما أهالي بنغازي ودرنة وغيرهما من المدن الصغيرة فهم حضريون، ثم (اجدابية) وكانت في الزمن الماضي مدينة عظيمة عامرة بالقصور والبساتين ولكنها اليوم ذات منازل قليلة قائمة في أراض مجردة من الغرس وهي اقرب المدن البرقاوية إلى طرابلس، ومن أهم إنتاج برقة الحبوب والصوف والسمن وتربي فيها الماشية بكثرة، ومن ملحقاتها واحات زلة وأوجلة وجالو والكفرة وجغبوب.

طرابلس

وطرابلس تبتدئ شرقا من محل يسمى مقطع الكبريت في أراضي سرت، وتنتهي غربا في أواخر أراضي زوارة المتصلة بالحد التونسي، وهي من جهة المواقع الجغرافية ذات نواح ثلاث، ساحلية وداخلية ومرتفعات.

الساحلية

فالمنطقة الساحلية فيها أكثر المدن العامرة الممتدة قريبا من شواطئ البحر وتشغل أراضيها أشجار النخيل والزيتون وأنواع المغروسات المختلفة.

والأراضي التي لا شجر فيها تستعمل للزراعة الشتوية ولرعي المواشي، وتشرب الأراضي المشجرة هي وأصحابها من ماء الآبار المعروفة بالسواني، إذ ليس في إقليم طرابلس انهار ولا عيون جارية سوى في بلدة تاورغا شرق مصراتة، فإنها نبع كبير يقال له عين تاورغا وأهالي منطقة السواحل يمتازون على جميع أخوانهم الليبيين بالنشاط الوافر في أعمال البساتين وزراعة الخضروات، ومن اسبق مدنها وجودا صبراتة في جهة العجيلات، ولبدة الكائنة شرق الخمس بمسافة قليلة، واويات القائمة على أطلالها الآن مدينة طرابلس عاصمة ليبيا، ولها حدائق غناء تحمل من الفواكه كل لذيذ، ثم سرت ذات الخليج المعروف باسمها وهي اقرب بلدة إلى برقة.

الداخلية

والمنطقة الداخلية تشمل سهولا واسعة الأرجاء، وهي أراض لرعي الحيوانات ليس فيها من النبات المغروس غير شيء قليل موجود على أطراف الوديان، وتعتبر هذه المنطقة أصلح مكان في طرابلس لزراعة الحبوب على مياه الأمطار، وبغلات أراضي السهول توزن أحوال المعيشة في البلاد، ومن المراكز الكبيرة في هذه المنطقة اورفلة وترهونة والعزيزية، والسكان هنا عرب رحل يعيشون غالبا تحت الخيام، وفي بعضها آثار عتيقة تدل على أنها كانت في السنين الغابرة لا تخلو من العمران.

المرتفعات

ومنطقة المرتفعات فيها قرى كثيرة لا تحصى، يسكنها من أقدم العصور الجنس البربري الذي كان موجودا بليبيا قبل الفتح العربي، وإلى الآن لا يزال محافظا على لغته الأولى وعاداته السابقة، وهم مسلمون على المذهب الأباضي، بينما إخوانهم من سكان برقة وطرابلس وفزان متبعون

للمذهب المالكي، وكلا المذهبين مأخوذ من القرآن والسنة، وسكان هذه النواحي يقيمون في بيوت منحوتة في الجبال أو في منازل مبنية فوق الأرض، ويعيشون من الزراعة وتربية المواشي، ومن الأشجار البعلية كالزيتون وكروم التين واللوز، ويشربون من ماء الأمطار المحجوزة في أمكنة تسمى بالمواجن، كما يشرب من هذه أيضا معظم أهالي المنطقة الداخلية، ومن بلدانها الهامة يفرن وجادو ونالوت وكاباو وفساطو وغريان.

فزان

وفزان تبعد عن طرابلس بثماني مائة وثلاثين كيلومترا، وهي ذات أراضي خصبة تشتمل على ينابيع جارية وواحات كبيرة يسكنها خلق كثير، وفيها من النخيل ما يزيد على نصف مليون نخلة، واهم حاصلاتها التمر النفيس، ومن ملحقاتها زويلة وودان وبراك وسوكنة وهون، وتجاوز فزان من الشمال الغربي مدينة غدامس، ونظرا لقرب فزان من السودان كانت أيام قوافل الإبل وخصوصا في التاريخ الأول من أهم المراكز التجارية في إقليم ليبيا الجنوبي، وعاصمتها القديمة زويلة والحاضرة مرزق.

المناخ

ومناخ ليبيا على وجه العموم معتدل، إذ إنها داخلة في حيز المنطقة المعتدلة، ولكنه حار في الإقليم الجنوبي لقرب فزان من خط الاستواء والأمطار هنا نادرة النزول، وهو لطيف شمالا لمجاورة أراضيه لساحل البحر ولوجود الجبال العالية والأشجار الظليلة.

الأرض

ومعظم الأراضي الجنوبية صحراء خالية تشغلها كثبان رملية تذروها الرياح من مكان إلى آخر، وأما الشمالية منها فأنها تحتوي على سهول



إحدى السواني الساحلية التي تروي البساتين
ونلاحظ هنا البئر والبقرة والرجل الفلاح

خصبة ندية صالحة للزرع الوافر والمرعى الجيد. وفيها أودية طوال تفيض أيام الشتاء بالسيل العرم. وجبال شاهقة يرتفع بعضها نحو ألف متر وأكثرها مغطى بمغروسات الكروم والزيتون أو الغابات الطبيعية كالجبل الأخضر. ونسيمها عليل نقي. ولقد كانت هذه الأراضي حين زارها هيرودوت مليئة بالغابات الملتفة.

الحيوانات



وفي العصور الأولى كان في ليبيا كثير من الحيوانات الضخمة المتوحشة ومنها الزرافة والفيل والكركدن والأسد والنمر. وأما الموجود منها الآن فأكثره أهلي داجن. ومن هذا النوع الإبل والأغنام والبقر والخيل والحمير ولا يزال في أرضها حيوانات متوحشة كالغزال والثعلب والذئب والضبع.

الثروة

وحتى الآن لم يكتشف في جوفها شيء من المعادن الثمينة سوى النطرون. وتستخرج منه في فزان مقادير هائلة ترسل إلى أوروبا فتستعمل في بعض الصناعات الحديثة. وفيها ثروة كبيرة من ملح الطعام ولا يزال من أهم صادراتها. وكذلك يستخرج من بحارها الأسفنج الممتاز وتتهافت الشركات الأجنبية على أخذه لبلادها لنفس الأغراض التي يستعمل من اجلها النطرون. وفي السنوات الأخيرة قامت على صيد الأسماك أعمال اقتصادية رائجة عادت على البلاد بالربح الكبير.

محصولاتها

وفيما عدا ذلك فان محصولاتها الرئيسية انحصرت في منتوجات الفلاحة والحيوانات ومن النوع الأول أصناف الحبوب والأخشاب والتمور والزيت والفواكه واللوز وخمور العنب والفول السوداني والخضروات الحلفاء، ومن النوع الثاني الأغنام والجلود والأصواف والسمون والبيض والسمك المحفوظ في العلب وواضح من هذه المحصولات إن ليبيا بلاد زراعية صرفة، وهي في السنين الممطرة تعطي من الحبوب ما يسد حاجة السكان، وتصدر منها للخارج كميات وافرة تأتي لها بالمال الغزير.

اختبارات

اشرح لنا ما يأتي:

(ا)- ما علمت من وصف المؤرخ الصغير.

(ب)- ما جاء في هذا الدرس عن موقع ليبيا ومعناها.

(ج)- متى عرفت بهذا الاسم وماذا كان يراد به قديما.

ثم بم توزن أحوال المعيشة في ليبيا؟ وما أهم غلاتها الزراعية والحيوانية؟ وكيف تفسر خلو فزان من العمران بينما هو يكثر في إقليمي طرابلس وبرقة؟ ولم رق النسيم شمالا واشتد حرارة في الجنوب. لقد ذكرنا هيرودوت في موضعين خاصين بليبيا، ففي أية مناسبة جاء هذا الذكر، وما هي عواصم الأقاليم الثلاث ماضيا وحاضرا، وما أشهر مدن ليبيا الأخرى التاريخية.

سم لنا ما يأتي:

(ا)- بعضا من الحيوانات المنقرضة والحاضرة.

(ب)- الأماكن التي مساكنها بيوت للمتحضرين.

(ج)- الأماكن التي تسكن الخيام وأهلها عرب رحل.

(د)- الأماكن التي تشرب من العيون أو الآبار أو المواجن.

التاريخ الليبي

(6 – 5)

لم يكن غرضنا من الدرس السابق أن نطلعك على جغرافية ليبيا بالتفصيل، بل أردنا أن نحصر وصفها في الأشياء المرتبطة بالتاريخ وحده، إذ كما قلنا في الدرس الأول، لا يفهم تاريخ امة من الأمم، حتى يعرف الإنسان موقعها وأحوال بلادها الطبيعية.

الابتداء

وفي هذا الدرس سنبتدئ بدراسة التاريخ الليبي.

المناسب

واعتبارا من الآن ستمر بك الحوادث وكأنك الشخص المتفرج، وكأن هذا الكتاب هو الشريط السينمائي الذي يعرض أمامك فصول الرواية، عرضا يناسب أوقات المتفرجين بالنسبة لبقية أعمالهم، ويناسب أفكارهم وأذواقهم أيضا، فمن الذي يناسب الفكر هو تجريد الأخبار من القصص الخرافية التي لا يقبل العقل تصديقها، ومن الذي يناسب الذوق جعل الألفاظ سهلة المعاني.

مسألة أخرى

ثم توجد في التاريخ مسألة أخرى لم نتكلم عنها في الدرس الأول، وهي إن المؤرخين الأمناء في رواية الحوادث، لا يذكرون حسنات أبناء جنسهم وحدها، أو يصفون عيوب أعدائهم لا غير، بل لزاما عليهم أن يذكروا أيضا حسنات وسيئات كل امة وكل شخص سواء أكانوا من أبناء دينهم ووطنهم أو كانوا غرباء عنهم جنسا ولغة ودينا، ولو لم يكن المؤرخون أمناء في هذا الذكر، لما قرأ احد لهم كتابا، ولا فسدوا بالتغرض أذهان الناس، فلا يهتدون إلى التمييز بين النافع والضار، ولا يهتدون للتمييز بين الخائن والمخلص.

فائدة تاريخنا

وزيادة على الذي عرفته من فوائد التاريخ، فان تاريخ ليبيا يرينا الأجناس التي نشأ عنها الشعب الليبي، ويرينا كيف تبدلت لغتهم وأديانهم، ويرينا الأمم التي اتصلوا بها فحكموها أو التي اتصلت بهم فحكمتهم، ويرينا أسباب رقينا وانحطاطنا لنأخذ من هذه الأسباب الأمور الحسنة فنعمل بها، ونترك منها الشيء الضار فلا نعمل به.

مقصودنا منه

والغرض الذي نقصده من كلمة التاريخ الليبي، هو أن نبين الأخبار الصحيحة التي تمكنا من الوصول إليها عن حياة أسلافنا الأولين، منذ بدء الخليقة إلى الوقت الحاضر.

مصادره

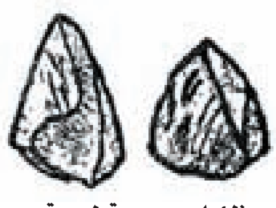
وقد أخذنا هذه المعلومات أولا من كتب الأمم التي غزت ليبيا وحكمتها قرونا أو سنين ككتب التاريخ اليوناني والفينيقي والروماني وكتب العرب والترك والطليان والكتب الحديثة المؤلفة عن ليبيا، وثانيهما من الآثار المبعثرة في جميع أنحاء ليبيا كأطلال لبدة وصبراته وشحات وغيرها، وثالثا من الحفريات المكتشفة في الصحراء الجنوبية وفي الأراضي الشمالية وفزان وجبل العوينات الكائن في نهاية الطرف الجنوبي الشرقي من صحراء ليبيا، على مقربة من السودان المصري، ويرجع الفضل في اكتشاف هذه الحفريات إلى علماء الآثار الفرنسيين والايطاليين، ورابعا من مشاهداتنا

للحروب الطرابلسية والحرب العالمية الأولى والثانية. ومن الحكايات الصادقة المسموعة من أفواه الناس العقلاء. الذين لا مصلحة لهم في الكذب أو الزيادة والنقصان. ذلك هو التاريخ الليبي وتلك فوائده ومقاصده ومصادره.

عصوره

فمنذ بدء الخليقة مرت على سكان ليبيا القدماء. وكذلك مرت على شعوب الدنيا جميعا. أربعة عصور كبرى. قيل لاثنين منها العصران الحجريان. وسيما بهذا الاسم لان البشر في تلك الأزمان. استعملوا في أغراض معيشتهم آلات نحتوها من الصخور أو الجبال خصوصا ما كان منها النوع المعروف عندنا بالصوان ويسمى الثالث بعصر الكتابة والرابع بعصر المعادن وهو الزمن الذي اكتشف فيه الناس الحديد والنحاس وغيرهما.

الحجري الأول



ظئران حجرية ليبية قديمة فيها بساطة الصنع

ففي العصر الحجري القديم كانت حياة الليبيين تافهة جدا. ومماثلة تقريبا لحياة الحيوان المتوحش الذي يهيم في الصحاري والغابات. فلا يكاد يمسى بمكان حتى يصبح بمكان آخر. وكانوا يتغذى بخشاش الأرض وهي الحيوانات الرخوة مثل الحلزون البري. وبالأعشاب الطرية ذات الطعم اللذيذ المقبول. ويسكنون المغائر في الجبال. أو في الأكواخ المستديرة أو المربعة. المتخذة من عيدان النباتات القصبية أو من أغصان الأشجار كالأنواع المسماة الآن بالزريبة. ويلبسون جلود الحيوان الذي يصطادونه بعد أن يأكلوا لحمه ويصنعون الآلات اللازمة من الحجارة أما على خلقتها الأولى أو بعد نحت قليل.

الحجري الثاني

وفي العصر الحجري الجديد. ترقوا في نحت الأحجار فأصبحت الآلات الحجرية متقنة اتقانا عجيبا. إذ أجادوا صقلها وتنوعوا في أشكالها وصنعوا من العظام الإبر والخناجر. وتعلموا تأكيل الحيوان المتوحش وتدرجوا في حياكة النسيج. واتخذوا الحلي من الصدف والأواني من بيض النعام وفي الدور الثالث من العصور الأولى بنو المنازل من التراب ونحتوا بعضها في الجبال على أسلوب أرقى من المغائر. وصنعوا الارحاء لطحن الحبوب وتعلموا التصوير على الصخور واستنبطوا من هذا فن الكتابة بالتمثيل ثم الكتابة بالخط. وقد اعتبر المؤرخون هذا العمل هو بدء التاريخ الإنساني.

العصر الثالث، الرابع

وفي العصر الرابع اكتشفوا المعادن من حديد ونحاس وقصدير. وأول ما ظهرت كان في بابل الكائنة جنوب العراق. وفي مصر بنحو ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد. ولم يكتشف منها الليبيون القدماء في بلادنا شيئا إذ ليس في أرضها معدن من هذا النوع.



سكاكين وآسنة رماح من آثار الليبيين في العصر الحجري وهي اتقن صنعا من الاولى

الليبيون القدماء

تلك أحوال أجدادنا نحن، وأحوال غيرهم من الناس في العصور السابقة لظهور الكتابة، وصفناها لك بالمقدار الذي يلائم الوقت.

أصلهم

وعلينا ألا نجزم بان أسلافنا الأولين كانوا موجودين هنا منذ بدء الخليقة، لان علماء التاريخ كما قرأت في الدرس الافتتاحي، كثير منهم يقول بان الموطن الأصلي للبشر كان في آسيا لا في أفريقيا، بل الذي نستطيع قوله هو إن فريقا منهم جاء إلى ليبيا من البلدان الشرقية، وفريقا نزح إليها من أوروبا، وفريقا آخر وهو الأقل عددا أتى إليها من الجنوب.

أجناسهم

وأول من سكنها جنسان يسمى أولهما بالليبي، ويقال للأخر الجتول، ثم الجنس البربري، وعلى مرور الأزمان اختلطت هذه الأجناس الثلاثة مع بعضها البعض بالتزاوج والتناسل إلى أن كونوا شعبا واحدا سمى في التاريخ بالليبيين، وهؤلاء هم أسلافنا القدماء.

البربر

وكتب التاريخ الإسلامي تقول إن البربر في اللسان العربي معناه الكلام غير المفهوم، ففي زمن ملوك اليمن المعروفين بالتبابعة، غزا شمال إفريقيا سنة (1090 ق.م.) قائد منهم اسمه أفريقش ابن قيس فلما استولى عليها ووجد سكانها ينطقون بلهجات مختلفة تخالف اللغة اليمنية قال لهم متعجبا (ما أكثر بربرتكم؟!) فصارت كلمة البربر من ذلك الوقت اسما لأهالي المغرب كله، وقيل إن افريقية مأخوذة من اسم أفريقش بن قيس وهو القائد المذكور قبلا.

حقيقتهم

وتذكر تلك الكتب أيضا إن أصل البربر عرب من قبائل اليمن الحميرية، ويقول في هذا المعنى احد شعرائهم المتأخرين (قوم لهم شرف العلا من حمير) ثم هاجروا من اليمن فسكنوا فلسطين من ارض سوريا، ولما قوى فيها نفوذهم وأكثروا من التعدي على الإسرائيليين المجاورين لأرض إقامتهم تحاربوا بقيادة أميرهم جالوت هم وسيدنا داود ملك الإسرائيليين، وانتهت بينهم الحرب بانكسار البربر، وصعب عليهم البقاء في فلسطين ذليلين فتركوها وهاجروا إلى شمال إفريقيا، ولما دخلوا ليبيا استحسنت منهم البقاء جماعات كثيرة فنزلت قبائل لواتة بجهات برقة، ونزلت قبائل هوارة حوالي لبدة.

اختبارات

اذكر ثلاثة أمور من كل نقطة آتية: (ا)- مصادر التاريخ الليبي. (ب)- فوائده لناشئة البلاد. (ج)- فوائد التاريخ العام غير الليبي. (ه) ثروة ليبيا الطبيعية. ثم وازن بين حياة الليبيين في العصر الحجري الأول وبين حياتهم في العصر الثالث من العصور الأولى. وبين ما ذكرناه عن أصل الليبيين وبين أصل البربر ثم ما علاقة سنة 1090 ق.م. بلفظة البربر ولفظة افريقية. وما علاقة المناخ بأجناس ليبيا. يقول العلماء إن المؤرخ يجب أن يكون نزيها في رواية الأخبار، فما الذي يقصدونه من كلمة النزاهة، وما المضار التي تنتج عن مخالفتها.

الليبيون القدماء

(7 – 8)

قبائل البربر

ومــن فروع هوارة كاباو وفســاطو. ونزلت قبائل نفوســة بنواحي صبراته وذهبت الجماعات الأكثر عدد فســكنت بلدان المغرب. ومن أشهر هذه القبائل زناتــة وصنهاجــة. ومن تخلــف منها في ليبيــا قبائل زوارة وبنــي يفرن وبني فســاطو وذلك هو أصــل البربر. وهذه هــي بعض من قبائلهم الشــهيرة مما ذكرته عنهم الكتب المتقدم بيانها.

قول آخر

أمــا المؤلفات الإفرنجية فأنها تقول: إن البربــر مزيج من أجناس مختلفة. ففيهم أناس من الجنس الآري كالرومان واليونان. وفيهم أناس من الســاميين كالعرب واليهود. وفيهم أناس من الجنس الحامي كأهل نيجيريا وكنو.

أخلاقهم

ومن طباع البربر جميعا أنهم لا يحتملون الذل. ومتمسكون جدا بلغتهم وأخلاقهــم. ولا يأخــذون مــن حضارات الأمم الأخــرى إلا ما يناســب طباعهم. ويعاشــرون القريبين إلى أراضيهم قضــاء لمصالحهم الخاصة. وهم حذرون من أن يمتزجــوا بهم امتزاجا تاما. خوفا من ان ينســوا لغتهــم. ويفقدوا ما ورثوه عــن آبائهم من الأخلاق الفاضلة. ثم إن الليبيين المتآلفين من العناصر الثلاثة المتقدمة الذكر وبعد عصور ما قبل التاريخ. ترقوا في الحياة رويدا رويدا.

الأسرة

ويمكننا أن نلخص ارتباطهم الاجتماعي فيما يأتي: فقد نشــأ عن الزواج إن نســل كل مــن الأب والأم أولادا وبنــات. تكفــلا هما الاثنان بتقــديم ما يلزم صغارهما من غذاء وكساء.

وظيفة الأم

كانــت الأم الليبيــة توجه البنت إلــى أعمال النســاء فتدربها على رحي الحبــوب وتنقيتها من الأوســاخ وعلى طهــي الطعام وإعــداد الحطب وإيقاد النــار. وأحيانا تطلب منها أن تغزل الأصواف. أو تطلب منها حين يبكي أخوها الطفل أن تسليه. فتشاغله البنت بالذي يجعله راضيا مسرورا.

وظيفة الأب

وكان الأب يوجه الابن لأعمال الرجال فيرعى المواشــي والحيوانات الداجنة كالإبل والبقر. ويشــارك أباه في الحراثة والزراعــة والحصاد. أو في غير هذا من أســباب المعيشــة اللازمة. وأحيانا يتدرب لاعبا مع رفاقه مــن أبناء الجيران أو القبيلــة فيركبــون الخيل والحمير ويتســابقون بها. أو يتراشــقون بالســهام ويتضاربون بالعصي مقلدين آباءهم الكبار في ســاعات حروبهم بالســيوف. وتسابقهم للصيد والاقتناص.

انتشار الأسرة

وإذا مــا كبر الاثنان البنت والابن. اتبعا نفس المنهج الذي ســلكه قبلهما أبواهمــا. فكونا هما أيضا أســرة على هذا النمط. وأنجبــا بنين وبنات وصارت البنت امرأة وصار الابن رجلا.

القبيلة

وازداد دم أبويهمــا بالمصاهرة انتشــارا في الأجســام البعيدة. لان أســرة أخرى اتصلت بهذه الأســرة فأخذت البنت زوجة لولدها. وهي اتصلت بأســرة

ثالثة فأخذت منها فتاة لولدها الشاب، وكثيرا ما كان التزاوج منحصرا في أشخاص من ذرية أب واحد، يفعلون هذا لتكبير الأسرة الصغيرة، حتى يكون فيها مئات من الرجال الأقوياء، ولما يتحقق غرضهم من هذا القصد وهو تكبير الأسرة يسمونها القبيلة، وتحمل اسم الجد الأول للأسرة، أو اسما آخر لقب به، فيقال لها قبيلة يفرن مثلا أو أولاد بني نوير، وبذلك يطمئنون من الخوف ويقوى نفوذهم.

نفوذها

فلا يتعدى غريب على أموالهم، وإذا نادى رجل منهم مستجيرا أو استغاثت منهم امرأة باخ لها، تجارى الشبان لنجدة قريبهم وقام الفرسان مناصرين لمن هو من نسلهم، وويل ثم ويل لذلك المعتدي، ولكن لو اغتصبوا هم أشياء من قبيلة أخرى اقل منهم من حيث عدد الرجال المحاربين، فان أهالي القبيلة المغتصب منها نظرا لضعفهم يضطرون للمسالمة، ولا يجدون وسيلة للتخلص من أمثال هذا التعدي سوى أن يتزوج زعيمهم فتاة من تلك القبيلة المتعدية أو يحتالوا على شاب منها فيزوجوه بنتا من عشيرتهم هم.

انتشارها

وبالتزاوج والمصاهرة تتحول القبيلتان إلى ود وصفاء، وإذا غزت إحداهما عدوا، أو اعتدى عليها، وقف رجال القبيلتين يهاجمون أو يدافعون في صف واحد كأنهم النيان المرصوص.

نفوذ المرأة

إذن كان للمرأة الليبية شأن آخر غير مسألة الطبخ والنسج وتربية الأطفال، كانت هي المؤثر في نفوذ القبائل وتنمية أفرادها، وبدخولها زوجة في

قبيلة أخرى، مهما تكن بعيدة عن موطن آبائها، يرى بنو عمها من الشهامة أن ينجدوا أصهارهم ويحموا ديارهم في كل مناسبة تدعو للنجدة.

تعدد الزوجات

ولهذا السبب كثر من الليبيين القدماء انفراد الرجل بطائفة من النساء لكي ينجبن له أولادا كثيرين، ولهذا السبب كان مثلا لا يتقدم لسقي الماشية على الآبار، ولا يقبل من احدهم رأيا إلا إذا كان أقرباؤه في الدم واللحم منتشرين في كل ناحية.

حريتهن

وكانت النساء سافرات الوجوه يختلطن بالرجال في مجالس الأسرة أو في أفراح القبيلة واجتماعاتها الهامة، ويشاركنهم في الاعمال التي يقدرن عليها كأعمال الفلاحة وجز الأغنام وجمع المحصولان الزراعية.

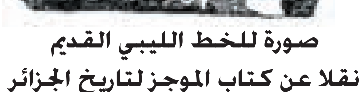
لغتهم

واللغة البربرية ذات اللهجة المعروفة لنا في الوقت الحاضر هي نفس اللسان الليبي القديم، غير انه طرأ عليها أمران (ا) إن مفرداتها الأولى ليست كلها من أصل واحد، بل كانت فيها مفردات كثيرة جاءت إليها من لغة الأجناس التي ذكرتها مؤلفات الإفرنج عن أصل البربر. (ب) واللسان البربري المعروف الآن كذلك انحرف عن الأصل الأول في اللهجة والتراكيب متأثرا بلغة الغزاة الفاتحين، وقد دخلت فيه، مفردات عربية لا تحصى.

الخط

وكان للغة الليبية القديمة خط ذو حروف خاصة، واشتهر في التاريخ بالخط الليبي، وانتشرت الكتابة به في كثير من بلدان الشمال الإفريقي.

وكذلك لغته أيضا وقد تعلمها وكتب بها حتى الفينيقيون في قرطاجنة، وهذا من أكبر الأدلة على إن الليبيين القدماء كانوا امة متحضرة لها ثقافات وآداب خاصة بها.



صورة للخط الليبي القديم
نقلا عن كتاب الموجز لتاريخ الجزائر

منازلهم

وكان أكثر الليبيين يسكن الخيام والأكواخ في الجهات الخلوية المشتملة على المروج الخضراء الصالحة لتربية الحيوان، ويفضلون منها ما قرب إلى غدران المطر وموارد السيل، والباقون منهم كانوا يسكنون المدن المقامة في الجبال أو الأراضي المنخفضة، أو القريبة من الساحل، ولا يزال بعضها محتفظا بأسمائه القديمة، مثل يفرن وكاباو وزلتن وجادو وأوجلة، ومن طراز بنائهم القديم أنهم كانوا ينحتون في الجبال بيوتا أو يبنون للمنزل القائم على الأرض حيطانا يتألف كل واحد من جدارين متوازيين ثم يملأون ما بينهما من الفراغ بالتراب، وبعد ارتفاعهما حسب المقدار المطلوب يضعون عليها سقف الدار.

من عاداتهم

ومن عاداتهم أيضا ليحفظوا البيوت أيضا من مكر الشياطين، أو ليجعلوا لأنفسهم البركة والخير كانوا يجعلون فيها حدوة حصان، أو يرسمون لها يدا أصابعها مبسوطة، وإذا أكل احدهم لحما يأخذ منه قطعة ويرميها في الهواء لتشاركه الشياطين في أكلها، ولا تزال هذه العادات مستعملة بليبيا حتى الآن.

لباسهم

وكانت ثيابهم لا تختلف عن أزيائنا الوطنية الحاضرة إلا في نوع النسيج الداخلي، وبعضها مأخوذ عن اليونان كالبرنس، وبعضها كان معروفا بليبيا قبل الرومان كالزي المعروف عندنا الآن بالجرد أو الحولي، فحين زارهم أبو التاريخ هيرودوت حدثنا عن لباسهم في زمانه قائلا (وثيابهم مطابقة لبعضها في جميع القبائل، وهي تحتوي على ثوب واسع مختلف الألوان، ممسوك بعقد على الكتف الأيسر ويلف الجسم كله).

أسئلة واختبارات

حدثنا عما يأتي:

أصل البربر على رأي الكتب الإفرنجية.

نفوذ المرأة الليبية وحريتها.

ما فهمته عن الخط الليبي ثم لم كثر التزاوج بين أفراد الأسرة الواحدة؟ وكيف نشأت القبيلة وقوى نفوذها؟ وماذا قال هيردوت عن زي الليبيين – إن بعض العادات القديمة لا تزال مستعملة فما هي هذه العادات الباقية للان؟ اذكر وظيفة الأم الليبية الحاضرة ووظيفة الأم الليبية الغابرة.

الليبيون القدماء

(10 – 9)

ديانتهم

وكانت لهم ديانة سخيفة جدا، مثل ديانات جميع البشر المعاصرين لهم ليس فيه رأي حميد، ولا عقل سالم من الجهالة العمياء، فلما رأوا الشمس والقمر ينيران الكون ظنوهما الهين فعبدوهما، وظنوا بعضا من الجبال وبعضا من الأشجار مساكن للآلهة فتزلفوا إليها بالزيارات، وتركوا فيها خرقا من ملابسهم أو أدوات أخرى لتذكرهم الآلهة وتشمل صاحب ذلك الشيء بالبركة والإحسان، وعبدوا البقر كالمصريين القدماء فاتخذوا لهم أيضا ثورا اسمه (غرزيل) واسترضوه بتقديم الضحايا، واسترضوه بكل إجلال وتعظيم، ووسعوا دائرة المعبودات حتى تناولت الأشياء المخيفة من مظاهر الكون التي لا يعرفون لحصولها سببا، فحين استمعوا إلى الرعد يزمجر وعاينوا الرياح الهوج تقتلع المغروسات الضخام، وأحسوا بالزلازل تحرك الأرض توهموا إن لهذه الحوادث تأثيرا على النفوس، تفعل الشر وتمنح الخير فتسارعوا إلى إقامة المعابد لها، كما عبدوا أمثالها المتقدمة، وكما إن الليبيين القدماء شاركوا بقية الأمم في تلك الديانات السخيفة التي لم يهتدوا فيها إلى معرفة الله خالق الأرض والسماء، كذلك شاركوها في مظاهر الحياة العمرانية.

حكومتهم

ففي أول نشأتهم خضعت كل قبيلة لرئيس منها يتولى مع رجالاتها الأكفاء النظر في مصالحها المختلفة، ويشرف على قيادتها أن حاربت غيرها.

الحاجة إليها

ولما امتد بنيان القرى والمدن، وتدرجوا في الحياة الاجتماعية كثر ارتباط بعضهم ببعض، خذ مثلا على هذا الارتباط، فان الرجل البدوي مضطر لبيع الزائد عن حاجته من صوف وسمن وخرفان في إحدى القرى المجاورة لأرضه، والساكن في القرية أو المدينة في حاجة قصوى لان يبيع هو أيضا ما فضل عن حاجته من تمر أو زيت، أو هو في حاجة قصوى لان يعرض بضاعته في الأسواق العامة أن كان تاجرا، وإذا اتفق أن تبايع حضري وبدوي ثم اختلفا في شيء ودعت المخاصمة بينهما إلى فض النزاع فإلى أين يذهبان لطلب الحكم العادل في تلك المخاصمة، واحدهما خاضع للنظام القبلي، والثاني خاضع للنظام القروي.

قانونها

إذن ليس هناك من حل لمثل هذه الحادثة وغيرها، سوى أن توجد حكومة تسري قوانينها على هذين الاثنين، ويتألف موظفوها الكبار من أعيان كل بلدة أو جهة، ويترأسها شخص متنفذ باختيار أو رضا الأهالي، لذلك فان الليبيين الأول جعلوا لهم حكومات عدة، ذات أنظمة مأخوذة من عاداتهم أو عن جيرانهم، ووضعوها في أسلوب يتناسب أحوال البلاد وأفراد الشعب.

ملوكهم:

وسموا رئيس الحكومة أميرا أو ملكا، ومصداقا لهذا البيان يقول بعض المؤرخين الثقاة: (على انه كان لقدماء البربر نظام ملكي في ليبيا، غير إن أولئك الملوك لم يرتق احد منهم عرش الجزائر) ونحن نقول لئن كان ملوكنا القدماء لم يستولوا على الجزائر وبلدان الشمال الأفريقي، نظرا لقلة خصبها، ومشابهتها في أمور كثيرة لأحوال بلادنا في الجفاف وأخلاق السكان.

نفوذهم

فلقد توصل أولئك الملوك العظام ببسالة الجيوش الليبية إلى أن حكموا مصر الشمالية مدة قرنين كاملين وعشرين سنة، ولم يسمهم التاريخ بملوك البربر، بل ذكرهم باسم الملوك الليبيين، وبهذا الاسم اشتهروا عند جميع الفراعنة، وليس بعجيب ان يراقوا بأبناء شعبهم النجيب إلى أعلى درجات الفخار العسكري، ويشاركوا الفرس وآشور والرومان في احتلال وادي النيل.

ميزة الليبيين

فقد امتاز الليبيون قديما وحديثا بشجاعة الأسود الضارية، وإذا دخل احدهم معارك القتال فعار عليه أن ينسحب إلى الوراء إلا إذا كان جسما بلا روح أو جريحا تغمره الدماء.

اتحادهم

وبإنشاء الحكومات تقاربوا في المصالح واتجاه الأغراض، وبإتباع الأنظمة وأوامر الملوك والزعماء اتحدت كلمتهم، فأصبحوا شعبا واحدا يحاول لنفسه المجد.

غزواتهم

وان يغزو غيره طلبا للحياة الفاضلة، ولما رأوا إن بلادهم في السنين المجدبة لا تفي بمعيشة أهلها، اتجهوا إلى وادي النيل المليء بالخيرات الوافرة من قمح وشعير وذرة، ومن أنواع الحبوب والمحصولات الأخرى، فصاروا أيام فراعنة مصر المعروفين في تاريخهم بالدولة القديمة يغزون تلك الأراضي المرة بعد المرة، ثم يرجعون إلى ليبيا وهم فائزون بالغنائم الكبيرة من ذهب وفضة، وأصناف القوت وأنواع الأشياء.

تجندهم

ولهذه المناسبة تأكد الفراعنة من شجاعة الليبيين فجندوا منهم في جيوشهم المرتزقة عددا ليس بالقليل، واتخذوهم قوة فعالة في محاربة أعدائهم الآخرين، وقد هاجرت إلى مصر جاليات ليبية كبيرة.

تكرر الغزو

وعلى الرغم من هذا الاتصال، فان الليبيين المقيمين هاهنا لم يبطلوا غزواتهم ابدا، ففي سنة 1234 ق. م، أيام فرعونها منفتاح ابن رمسيس الثاني، أغاروا على أراضيه الشمالية إغارة شعواء مدمرة، ثم ردهم عنها بعد حروب قوية، وبقوا أعواما يلازمون ليبيا، وأعواما يعيدون سيرتهم الأولى بالحروب والغزوات نحو ثلاثمائة سنة.

الطموح

وقد نتج عن اتصالهم بوادي النيل للمناسبات المتقدمة، أن شاهدوا بأعينهم ما فيه من ثروة ونعيم، وعرفوا جوانبه الضعيفة والقوية، فمالت نفوسهم للاستيلاء عليه.

تحقيقه

وظلوا ينتهزون الفرص الملائمة لتحقيق طموحهم وآمالهم إلى أن توفي ملكه المسمى رمسيس الثاني، وتولى أمر مصر فراعنة فاترو العزيمة أصلهم من الكهنة رجال الدين، ولم يكونوا مهتمين بالدفاع عن أوطانهم، فاكتسحها الأعداء من كل ناحية وصوب، وانتزعوا منهم بلاد النوبة الكائنة جنوب مصر، وخرجت من حكمهم أيضا طور سيناء الواقعة غرب فلسطين.

فتحهم لمصر

فاغتنم الليبيون وملوكهم الفتن القائمة بمصر، وأحوال فراعنتها السيئة، فاعدوا جيشا قويا من أحسن الجنود المدربة استلم قيادته احد أبطالهم العظماء، وتخيروا للهجوم على مصر اقرب جهة إلى ليبيا وأوفرها خصبا، وهي بقعة الدلتا الكائنة بين فرعي النيل الكبيرين، ثم زحفوا عليها سنة 945 ق. م. غزاة فاتحين، وما كادوا يصلون حتى اشتبكوا مع خصومهم في معارك هائلة ولم يمض عليهم وقت طويل حتى انتهوا منها بالانتصار الحاسم واستولوا على ارض الدلتا كلها بالاحتلال العسكري التام، وجاءت إلى ليبيا أخبار الفوز المبين وثبوت أقدامهم باحتلال الدلتا فعمت فيها الأفراح والاحتفالات.

الدولة الليبية

وتسارع منهم للأرض المفتوحة جماعات كبرى لأغراض شتى، فئة للدخول في الجيش أو للتوظف في الحكومة الجديدة، وفئة للتجارة أو طلب الرزق، وفئة للسياحة أو الترفه أو رغبة في التوطن حيث الحب الكثير، والماء النمير، ثم إن الليبيين عبد احتلال الدلتا، اتخذوا فيها مدينة (بسطة) عاصمة لهم، وأسسوا بمصر الشمالية دولة ليبية عظيمة الشأن.

شيشنق

وتولى أمرها ملوك ليبيون كثيرون، أشهرهم في التاريخ ذكرا، الملك (شيشنق) الذي ذاع صيته في الآفاق، وامتد حكمهم إياها مائتين وعشرين سنة، وفي هذه المدة نشأت دولتان كبيرتان صاحبتا جيوش حربية باسلة، أولاهما كانت الدولة الآشورية بالعراق، وليس لها مع الليبيين حوادث تاريخية، والثانية كانت في بلاد النوبة، وقد مر بك من قبل ذكرها، وهي التي نازعت أجدادنا في امتلاك مصر.

الليبيون القدماء

(12 – 11)

الدولة النوبية

ففي أواخر أيام الليبيين بالدلتا قوى النوبيون بالعساكر والنفوذ، وصاروا يأخذون مصر الجنوبية بلدة بعد بلدة، متجهين إلى الشمال حتى اتصلت جيوشهم بمملكة الليبيين بالدلتا.

حروب الدولتين

ودخلت معهم في حروب عنيفة قاسية، يشيب من هولها الطفل الرضيع، ونظرا لما بين أهل النوبة والمصريين من التوافق في المناخ والدين وبعض العادات والأخلاق تمكنوا سنة 725 ق. م. من التغلب على الليبيين.

انتصار النوبة

وأزالوا منها دولتهم بعد أن استمرت قرنين اثنين صاحبة الأمر والنهي، فرجعوا إلى أوطانهم أعزاء النفوس كما دخلوها شجعانا فاتحين، ومثل الحرب بين الدول هو كاللاعبين بكرة القدم، يوما يغلب فريق ويوما ينتصر المغلوب على الذي كان غالبا.

تلهف

وكأني اشعر تلهفك لمعرفة التفاصيل الوافية عن الذي قام به أسلافنا في أثناء وجودهم بمصر، من الأعمال الجليلة ونظام حكومتهم فيها، أو تطلب المزيد من أحوال ليبيا الداخلية في ذلك العهد، ولكننا مع تقديرنا لهذا الشعور النبيل فان المقرر الدراسي لا يتسع لشرحه، وهي جديرة وحدها

بتاريـخ خـاص وكـذلك أيضا بعض العهود الآتية. وعسـى أن تسـعدنا الأيام بتحقيق ما تلهفنا عليه جميعا في غير السنين الابتدائية.

المدنية الليبية

ومـن الثابت المؤكد إن الليبيين خلفوا في مصر آثارا اجتماعية. لها قيمة تاريخيـة عظيمة. والزائر للمتحف المصري بالقاهرة والقارئ لتاريخ الفراعنة المفصل يجد منها الشيء الكثير. كما إن أسلافنا القدماء في أثناء وجودهم بالدلتـا. اخذوا عن أهاليها بعضـا من مدنيتهم وبعضا مـن عاداتهم ولقد كانت في ليبيا مدنية خاصة بها. وفيها أمور مستمدة من حضارة جيرانهم شـرقا وغربا وشمالا وجنوبا. ينبيك عن حضارتهم ما ذكرناه سابقا عن الخط الليبي ثم ما تراه من رسومهم المنقوشة على الصخور كما يظهر من الصور السابقة والآتية.



يظهر هذا اللوح الذي وجد في وادي المكنوسة من ارض ليبيا تاثير فن النقش الليبي بالنقوش المصرية وهو يمثل حيوانات دينية

اختبارات

اذكـر الدليل التاريخي عن ملوكنا القدماء؟ وميزة الليبيين قديما وحديثا؟ وعلاقة كل من سـنة 1334 و945 و725 ق. م. بتاريخهم؟ والأسـباب التي انتهزوهـا لفتح الدلتا؟ وتأثير ذلك الفتح في ليبيـا؟ وأربعة معبودات وثنية لليبيـ . ثم ما الـذي طرأ على اللغـة الليبية الأولى؟ وما الـذي علمته عن مدنيتنا القديمة؟ وما مثل الحرب بين الدول؟

خطط في أوقات فراغك ما يأتي:

(أ) الكتابة الرمزية.

(ب) أشكال الخط الليبي

(ج) الأدوات في العصر الحجري.

(ه) خارطة التاريخ الليبي بمصر.

خلاصة المرحلة الأولى

المسائل

نعتني كثيرا بقراءة التاريخ لما فيه من قصص الحروب والأخبار المسلية الجذابة، وهو علم يذكر الحوادث التي مرت على الناس والدول أو الأفراد كتاريخ العرب والرومان وترجمة عمر بن الخطاب واسكندر المقدوني. والغاية من دراسته هي الاستفادة من تجارب الذين عاشوا قبلنا. ومن أهم مصادره المؤلفات التاريخية المضبوطة في حقائقها، وأطلال المدن الخربة كلبدا وصبراته وشحات، ولو شاهدت أمثال هذه الآثار وحدثت عنها غيرك بالأسلوب الشيق تصير كأنك مؤرخ دقيق، ولابد من أن يقرن بالجغرافيا إيضاحا للمعاني وتبيانا للجهات والأماكن. والحوادث الجسيمة هي التي يعتمد عليها الناس في تعيين التواريخ، لان الشيء المهم لا يبرح الذهن ولو طال عليه الزمن، ومن قواعده الجديرة بالملاحظة وألفه، أن يعرف التسميات الاصطلاحية، ومبدأ ظهور الكتابة ونشأة اللغات وأصولها، واصل البشر وأجناسهم وأقاليم وجودهم، ومعاني كلمة الحضارة وأقدم المدنيات وأول تكونها.

ليبيا

ونظرا لما قلناه سابقا من ارتباطه بالجغرافيا فان ليبيا تحد شرقا بمصر وشمالا بالبحر وغربا بتونس وجنوبا بالصحراء، وقد اختلف المؤرخون في تفسير معنى لفظها، فقالوا هو اسم لامرأة وقالوا معناها الأرض القاحلة، وكانت معروفة بهذا الاسم من أيام الفراعنة؛ ولها أقاليم ثلاث طرابلس وبرقة وفزان، وكلها تشتمل على كثير من القرى العامرة والمدن التاريخية الهامة كدرنة ولبدا وشحات وسرت.وطبيعة أرضها صحراوية جافة، ولكن قسمها الشمالي ذو أراض خصبة وجو لطيف وفصول ممطرة. وتنحصر ثروتها الطبيعية في النظرون وملح الطعام والأسماك وفي الفلاحة وثمر الأشجار وتربية الحيوان.

تاريخها

ومن مسائل التاريخ أيضا انه يجب أن تروى فيه الحوادث بكل نزاهة وصدق ليعرف القارئ الصالح من الطالح. وتاريخنا هو عبارة عن الأخبار الصحيحة التي جمعناها عن حياة أسلافنا الأولين، وأخذنا معلوماتها من عدة مصادر موثوقة وفي مقدمة هذه المصادر تواريخ الدول الماضية والحاضرة وعلى الخصوص من تاريخ الدول التي اتصلت بالليبيين. ومن آثار البلاد المعثور عليها في بعض الجهات، وسيتناول تاريخنا هذا جميع الحوادث التي مرت على ليبيا منذ بدء الخليقة إلى الوقت الحاضر.

العصور

وأهم العصور التي رآها أسلافنا القدماء، ورآها أيضا البشر جميعا، هي العصران الحجريان، وسميا بهذا الاسم لان البشر وقتئذ اتخذوا فيه الأدوات الضرورية من الحجارة، وميزة العصر الأول إن تلك الأدوات كانت ذات صناعة ساذجة، وسكنوا فيه المغائر والأكواخ وأكلوا الحشائش واللحوم الرخوة ولبسوا الجلود، وفي الثاني أتقنوا الأدوات الحجرية وأهلوا الحيوان وتعلموا النسيج وفي العصر الثالث بنو المنازل بالتراب، وصنعوا الارحاء وتعلموا التصوير وبه توصلوا للكتابة وفي الرابع اكتشفوا في غير ليبيا المعادن وكان أول ظهورها في بابل ومصر بثلاث آلاف سنة قبل الميلاد.

الليبيون

والراجح إن أجدادنا لم يكونوا موجودين هنا منذ بدء الخليقة بل قدموا إليها في العصور الأولى من جهات مختلفة. واسبق القادمين منهم عنصرا الليبيين والجتول ثم البربر. ومعنى هذه اللفظة في اللغة العربية هي اللهجة أو اللسان الذي لا يفهم منه شيء. وكتب المسلمين تقول أن أصلهم حميريون من اليمن نزحوا إلى فلسطين ثم هاجروا منها إلى ليبيا وشمال أفريقيا. وكتب الإفرنج تقول إنهم مختلطون من أجناس كثيرة. ومهما اختلفت الأقوال في هذا الأمر فالحقيقة الثابتة إنهم بعد دخولهم لليبيا اتحدوا مع من كان فيها قبلهم ثم كونوا شعبا واحدا عرف في التاريخ بالشعب الليبي. وبالتزاوج تكونت الأسرة الكبيرة ثم القبائل. وازدادت كلتاهما نفوذا وانتشارا بوساطة المصاهرة. ولذلك كان للمرأة الليبية شأن عظيم في ربط العائلات والقبائل بعضها ببعض. وكانت المرأة والأب يوجهان أولادهما للحرف الخاصة بمستقبلهم وكانت النساء سافرات ويخالطن الرجال في الاجتماعات العامة أو الخاصة.

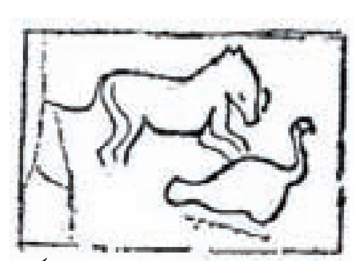
حياتهم

واللغة البربرية الحاضرة هي من أصول اللسان الليبي القديم. وكان لها خط تكتب به انتشر في كثير من بلدان المغرب. وكانت عاداتهم في الملابس وبناء المساكن وفي الخرافات مشابهة لكثير من عادات الريفيين الآن. واتبعوا الديانة الوثنية كغيرهم من لشعوب الأخرى المعاصرة لهم. وفي أول نشأتهم عاشوا بلا رابطة تجمعهم. ثم دفعتهم ضرورة المصالح إلى أن أسسوا حكومات تولاها منهم ملوك عظام. وبذلك اتحدوا فكونوا شعبا واحدا يخضع لحكومة مركزية تنظر في مصالح الأمة كلها.

فتوحاتهم

وبشجاعة الليبيين الفائقة غزو مصر عدة مرات ثم فتحوها سنة 945 ق. م. وأسسوا في قسمها الشمالي المسمى الدلتا مملكة دامت قرنين وعشرين سنة. ثم تغلبت عليهم مملكة النوبة التي تجمعها بالمصريين أخلاق وعادات كثيرة. فرجعوا إلى بلادهم أعزاء النفوس كما خرجوا منها غزاة وفاتحين.

مدنيتهم

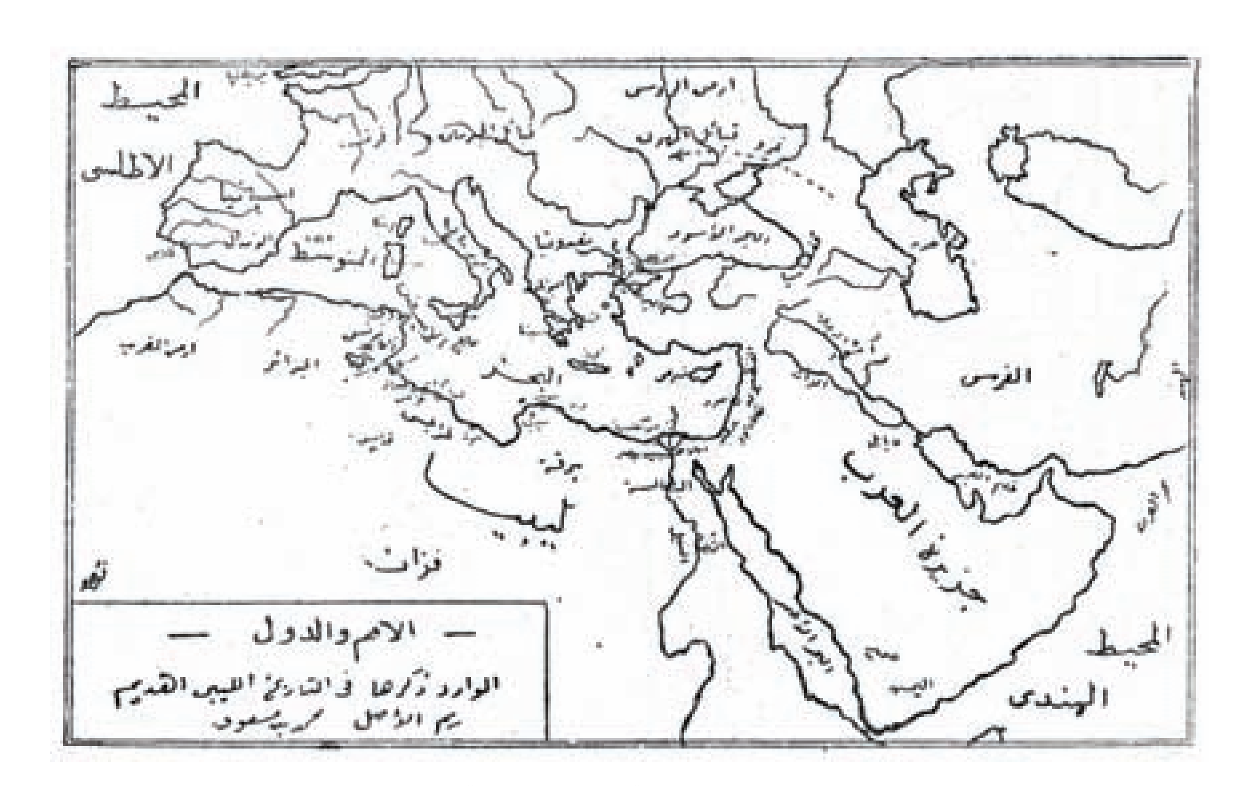


من الآثار الليبية القديمة ايضاً

وما لا شك فيه انه كانت لليبيين مدنية خلفوا منها في مصر آثارا موجودة بمتاحفها في القاهرة وذكرتها أيضا تواريخ الفراعنة. غير انه نظرا لتوالي القرون لم يصل إلينا منها سوى أشياء قليلة اكتشفت في الحفريات الأثرية في أراضي فزان وجبل العوينات وغيرهما. تلك خلاصة المرحلة الأولى من تاريخنا ولننتقل بعدها إلى تتبع حوادثه في الرحلة الثانية.

اختر واحدا من المواضيع الآتية ثم حاضرنا فيه

أهمية الجغرافيا للتاريخ – كيف تكون مؤرخا صغيرا – المسائل الفنية للتاريخ – العصور الأربعة والليبيون – مصادر تاريخنا الوطني – تاريخنا الحربي المجيد – ما يجب أن نعرفه عن جغرافية ليبيا – الليبيون وحياتهم – علاقة المرأة بنفوذ القبائل وانتشارها – حالة مصر سنة 1234 ق. م.



خارطة الدول القديمة

المرحلة الثانية - ليبيا واليونان

(14 – 13)

مقدمة

على الرغم من إن ليبيا ليست غنية الموارد. ولهذا لم تقم فيها حضارة رائعة كحضارة بابل في العراق أو طيبة والأقصر في مصر. وعلى الرغم من إن أراضيها جافة من المياه الدائمة الجريان. وخصبها متوقف على نزول المطر فمنذ ما انتهى قرن واحد تقريبا على زوال الحكم الليبي من مصر. والأمم القوية تكتسحها دولة بعد دولة إلى الوقت الحاضر. فما السر في هذا الاكتساح؟ ولماذا تطمع الدول في امتلاكها. وليس في جوفها ثروة معدنية مغرية وتربتها خالية من الأنهار الكبيرة. وعدد سكانها قليل ومحصولها غالبا محدود؟ ليس هناك من أسباب معقولة سوى مركزها الجغرافي العظيم.

أهمية ليبيا

فان المستولي عليها يمكنه أن يسيطر بأسطوله البحري القوي على جميع السفن المارة للعدو من البحر الأبيض المتوسط.

ويمكنه أن يصل إلى نهاية طرفها الجنوبي إقليم فزان. فيحتكر لنفسه تجارة السودان القريب من ليبيا بلا منافس أو شريك.

وإذا زحفت من المغرب جيوش قاصدة وادي النيل أو جاءت من الشرق جيوش تريد المغرب فحتما على كلا الجيشين من أن يمرا بليبيا وإلا فلا يتم لهما الوصول إلى الأهداف المقصودة.

زد على هذه الفوائد الحربية فوائد اقتصادية أخرى فان ليبيا في السنين الممطرة ذات غلال زراعية وافرة تكفي معيشة أهلها. ويفيض عنها مقادير عظيمة ترسلها الدولة المحتلة لتموين أبناء وطنها الأصلي.

وفيها جبال رائعة المناظر ومناخ لطيف النسيم وفيها قسم كبير من الأراضي، قابل لإنبات المغروسات وتوسيع الفلاحة فيجد فيها الأجانب الحاكمون كل مجال لاستخدام نشاطهم وحضارتهم وتعميرها بما يعود على أمتهم بالنفع الجزيل.

ولهذا كانت ليبيا في مدة القرون الأولى والوسطى والأخيرة هدفا لإغارات اليونان والفينيقيين والرومان والوندال والعرب والترك والطليان والحلفاء. ولهذا سنذكر لك فيما يأتي حوادثها الجسام في كل عصر من عصور تلك الدول وما عملته فيها من خير أو شر.

اليونان

فاليونان أو الإغريق كلمتان تدلان على مسمى واحد، وهم امة ظهرت في الوجود من آلفي سنة قبل الميلاد، وكانت منازلهم في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة البلقان ارض اليونان المعلومين لدينا الآن. وأصلهم من الجنس الآري كشعوب أوروبا.

ميزتهم

وقد امتازوا عن غيرهم من الأمم القديمة بأنهم اسبق الذين وضعوا الأساس العلمي لجميع الفنون والمعارف الحديثة، واسبق من قال بإن الأرض كرة تسبح في الفضاء لا تستند على شيء، وهم الذين نظموا أصول الثقافة الإنسانية، واهتموا كثيرا بالرياضة والتمثيل والشعر، وبالقصص الممتع والموسيقى الشجية أيضا، وبعبارة موجزة لم يتركوا شيئا وقع تحت

بصرهم أو طرق سمعهم إلا فكروا في أصله وطبيعته، ثم كتبوا عنه ما وصلوا إليه من علوم وتجارب.

دولتهم

ولم يكونوا في أول أمرهم خاضعين لحكومة واحدة بل كانوا حكومات صغيرة، وظلوا على هذه الحالة إلى سنة 332 ق. م. ففي هذا الحين استولى عليهم اسكندر المقدوني بن فليب المقدوني، وهو من جنسهم ولكن مملكته كانت تقع في شمال اليونان، فجعلوه ملكا وصاروا به دولة متحدة في الرأي والأعمال، وكون منهم جيوشا غازية زحف بها على أسيا الغربية ووصلت فتوحاته إلى الهند بعد أن اخذ سوريا وفارس وفلسطين ومصر وأسس فيها الإسكندرية سنة 331 ق. م. وهي مسماة على اسمه.

غزو برقة

وبما إن ليبيا الشرقية (برقة مشابهة لبلادهم في طبيعة المناخ، وهي قريبة من جزيرة كريت بحرا، لذلك غزوها أيضا بأساطيلهم في سنة 700 ق.م، أي قبل ظهور الأسكندر، وما كادوا يصلون إلى أرضها حتى قابلهم الليبيون مدافعين عن بلادهم دفاع المستميت، واشتبكوا معهم في حرب شديد لم تخطر لليونان على بال، وأخيرا تمكنوا من التغلب واحتلوا منهم برقة الساحلية كلها.

عمرانها

ولما هدأت الأحوال وامنوا من الثورات الداخلية، شرعوا في تعميرها بغاية السرعة والنشاط، وبثوا في جهاتها حضارتهم الرائعة فبنوا فيها طائفة من المدن انتشرت بأطراف الشواطئ، وجعلوها على الطراز الإغريقي الجميل، ومن هذه المدن التي حرف العرب والأهالي أسماءها اليونانية، والتي لا تزال

آثارها موجودة في طلميثه ودرنة وطوقرة وسوسة وهي باللفظ الإغريقي (أبولونيا) وبنغازي وكان يقال لها برنيقة على اسم زوجة بطليموس الثالث. وقد ساعدهم على هذا التعمير جودة الأرض وأخشاب الجبل الأخضر وما فيه من عيون وانهار. وحسن المناخ والسهول والتلال القابلة لأعمال الفلاحة والغرس.

العاصمة

وفي منتصف القرن السابع أي سنة 640 ق. م. بنو مدينة (سرينا) المعروفة اليوم بشحات على أسلوب هندسي رائع. وبعد أن أكملوا تعميرها جعلوها عاصمة لبرقة ومركزا للحكومة ومحطا للرقي الاجتماعي. وقد وصلت في تلك الايام من سعة المباني وجمال المناظر إلى درجة عظيمة فائقة. شابهتها بأثينا وروما والأقصر. ونافست في شمال أفريقيا مدينة قرطاجنة الفينيقية منافسة ذائعة الصيت. ينبيك عن صحة هذا القول. انه خرج منها عشرون ملكا. تولوا أمر برقة سنين طوالا.

عظماؤها

ومن اشهر هؤلاء الملك (باتوس) الذي شيد مدينة (سرينا) نفسها. وخرجت طائفة من العلماء في كل فن رائع. ومن هؤلاء الأفذاذ الذين احتفظ التاريخ بأسمائهم الفيلسوف (ايرستيب) احد قادة الفكر العظام. وصاحب الفلسفة السيرينية المنسوبة إليه. وقد أسس فيها مدرسة امتلأت بطلاب العلم وذاع صيتها في أنحاء العالم القديم. وكان موجودا بين سنتي 435 و360 قبل الميلاد. وهو تلميذ لسقراط أستاذ الإغريق الأكبر. ومن عظماء سرينا شاعر اليونان البليغ (قليماق) والعلامة (ايراتوستين) وهو أول جغرافي قاس محيط الكرة الأرضية وعلينا أن لا نتعجب أن ترقت الحياة في سرينا وفيما جاورها من القرى إلى هذه الحالة الزاهرة.

جالياتهم

فقد هاجر إليها من اليونان جاليات مليئة بالثقافة وحب الخير ميالة للرقي والعمل الصالح المفيد. وهي من صفوة الرجال المجدين أو المفكرين كان فيهم الأغنياء والتجار والفنانون والزراع. وأرباب الحرف والسائحون. والعلماء والمهندسون وأول من جاء للاستعمار الاقتصادي. أبناء جزيرة (تيرا) الكائنة في بحر ايجة عند مدخل بغاز الدردنيل. وبعض من أهالي جزيرة كريت وتوطنها أيضا من أبناء الأمم الأخرى جمع غفير. بعض من أهالي قرطاجنة. وأناس من الشمال الأفريقي.

أفلاطون

بل ظفرت سرينا الخالدة بزيارة اكبر فيلسوف يوناني بعد سقراط. إلا وهو العلامة أفلاطون احد تلاميذ سقراط النبغاء. والوارث الأول لأفكار أستاذه والناشر لحكمته في الأنام. وقد اختلف المؤرخون في سبب مجيئه إلى برقة. فبعضهم قال أتى ليضع للحكومة قوانين للنظام الاجتماعي في برقة. وبعضهم قال جاء سائحا ليتفرج على ما وصلت إليه سرينا من حضارة أنست أهاليها بأوطانهم الأولى.

حكومتهم

وقد أسس اليونان في برقة حكومات مستقلة على النظام الملكي ثم جمهوريات شغل مناصبها النبلاء وأفراد من عامة الشعب وبقيت على هذه الحال إلى عام 322 ق. م. ففي هذا الزمن أغار عليها من مصر بطليموس الأول. وهو احد القادة الذين فتحوا وادي النيل مع اسكندر المقدوني وأقام بطليموس نفسه ملكا على مصر. واستولى على برقة فقضى على استقلال بني جنسه ثم جعلها ولاية من أملاكه وسماها (بنتا بوليس) ومعناها المدن الخمس.

اختبارات

لأي غرض كانت الدول تتسابق للاستيلاء على ليبيا؟ ومن هم اليونان؟ وأين تقع بلادهم؟ وماذا عرفت عن دولتهم وعن اسكندر؟

لم كانوا أساتذة العالم؟ وما هي المناسبة التي تكلمنا فيها عن ارستيب وقلماق وباتوس وأفلاطون؟

حدثنا عما يأتي: غزوهم لبرقة – تعميرهم إياها – جاليتهم ببرقة – عظمة سرينا – حكومة اليونان ببرقة.

ثم تكلم عن السبب الثالث والخامس من أهمية ليبيا الجغرافية حسبما ذكرناه في هذا الدرس.

ليبيا واليونان

(16 – 15)

حروبهم

ولم تجر لليونان في برقة حروب خارجية إلا مع القرطاجنيين المحتلين وقتئذ لطرابلس. وسبب الخصام بينهما هو تنازع النفوذ الليبي. ولعداوة قديمة بينهما نشأت من رغبة كل منهما في الاستيلاء على جزيرة صقلية وغيرها من النقاط الهامة في البحر الأبيض المتوسط. وقد دام الحرب بينهم في ليبيا عدة أعوام. ثم تصالحوا فعقدوا معاهدة بحسن الجوار وأقاموا حدا فاصلا بين برقة وطرابلس. هو محل القوس المنصوب الآن في نهاية أراضي سرت الشرقية. وكان مما اتفقوا عليه لإقامة هذا الحد أن يخرج منهم متسابقون إلى مسافات بعيدة فأي الفريقين يصل لأرض احدهم قبل الأخر يكن الحد هناك.

الفرس

ويحدثنا التاريخ إن قمبيز ملك الفرس لما اخذ مصر سنة 525 ق. م. امتد نفوذه إلى ليبيا فشمل برقة اليونانية مدة من الزمن. ولم تغير فيها شيئا من نظام حياتها وعدا إنشاء المدن فقد أحدثوا كذلك مشاريع للمواصلات لا تقل عنها أهمية.

المواني

وبما إن المواصلات البحرية هي الوسيلة الوحيدة لربطهم بأبناء وطنهم الأول لذلك أسسوا في برقة لكل ناحية منها محطة للملاحة واختصت سوسه بأنها كانت ميناء سرينا عاصمة البلاد. وهي تبعد عنها نحو عشرة

كيلومترات وازدهرت بالمباني الأنيقة والقصور الرائعة وبمعابد الآلهة والشوارع الفيحاء، واتخذوا جزيرة بومبا تجاه درنة محلا لبناء السفن وترميمها، وانتفعوا لهذا الغرض بما في الجبل الأخضر من الأشجار والغابات الملائمة لإنشاء الأساطيل وأعمدة الصواري.

الفلاحة

واعتنوا بشؤون الفلاحة فاستكثروا من مغروسات الأشجار المثمرة، وزرعوا كل بقعة من السهول بأنواع شتى من الحبوب وغيرها، وحصروا المياه الجارية فصارت بعض الأراضي تشرب بالري الدائم، ونمت في زمانهم تربية الحيوانات والمحصولات فكفت حاجة السكان وذهب الفائض عنهم إلى الخارج، ونمت تربية الخيول الأصيلة اللازمة للحروب والسفر الطويل.

ديانتهم

وتمسك اليونان في برقة بدينهم الوثني الذي كانوا عليه في ارض أجدادهم فاستمروا يعبدون آلهة خيالية كثيرة، وبنو لها المعابد الفاخرة في جميع المدن والقرى، ولا تزال بقاياها ظاهرة للعيان ومقصدا للسائحين إلى هذا الوقت، فأقاموا غرب شحات معبدا لآله الحرب المسمى عندهم (بجوبتر) وفي شرقيها معبد آخر لآله يقال له ريوس، وهكذا تخيلوا من الأرباب الوهميين حتى ملأت أسماؤها كتبهم، وكانوا لا يؤدون عملا خطيرا إلا بعد أن يأمرهم كهنة الآلهة بفعله أو تركه.

الليبيون

والملاحظ في تاريخ اليونان بليبيا الشرقية، انه على الرغم من حسن معاملتهم لأهاليها البرقاويين، فان هؤلاء التزموا حياة الخلاء في الجبال والأراضي البعيدة عن جهات السواحل العامرة بالمدن الإغريقية، والتزموا

نفس الحالة التي ألفوها من الزمان الأول، يقيمون تحت الخيام ويسكنون مغارات الجبال ويرعون الأغنام مع مزاولة الفلاحة على الطرق المتوارثة، ويلفون أجسامهم بالرداء الملقى بعضه على الكتف، والذين اندمجوا معهم في حياة المدن والمزارع فهو اندماج مصلحي لا غير، أما لبيع حاصلات أو حيوانات وأما رغبة في طلب الرزق بالخدمة في إحدى المدن لا رغبة في الاقتباس العلمي والرقي الاجتماعي، ولعل السر في عدم استفادتهم من حضارة اليونان يرجع إلى نفورهم من المحتلين لوطنهم حتى ولو ألبسوهم الحرير وأنزلوهم القصور، وسيمر بك في الدروس الآتية أنهم بقوا على جفائهم للأغراب منذ هذا العهد الأول إلى الوقت الحاضر ولم يتأثروا بمدنيتهم إلا في أمور تافهة أخضعتهم لها توالي السنين والفتوحات الدائمة.

نهايتهم

قلنا حيث الكلام عن حكومة اليونان ببرقة، إن بطليموس الأول قضى على استقلال بني جنسه وجعل برقة ولاية من أملاكه، فلما اشتد الخلاف بين ملوك البطالسة بمصر تنازعا على السلطة، وتوالت عليهم بسبب هذه الحروب الفتن انتهز الرومان أحوالهم السيئة وأغاروا سنة 97 ق. م. على برقة فأخذوها من البطالسة كما اخذوا ليضل طرابلس من القرطاجنيين وبذلك زال منها عهد اليونان بعد أن حكموها نحو مائتي سنة، ولو عرف الليبيون كيف يستفيدون من ثقافتهم وقلدوهم في النشاط العمراني مع بقاء اليونان مدة طويلة لانتشرت في أنحاء ليبيا فنون وحضارة لا نظير لها إلا في أثينا نفسها ولكن الجمود سر الركود.

ليبيا والفينيقيون

موطنهم

والفينيقيون امة من الجنس السامي كالعرب. اشتهروا منذ ألفي سنة قبل الميلاد. وكانوا يسكنون في ارض سوريا بالشام. وأرضهم عبارة عن سهل ضيق بين البحر الأبيض المتوسط غربا وجبال لبنان شرقا. وتنبع في هذه الجبال انهار تشق السهول وتصل إلى البحر. وهي سريعة الجريان لقلة البعد بين منابعها ومصبها. ومن الأنهر نهر الليطاني الذي يخترق سهول البقاع ونهر الكلب القريب من مدينة بيروت.

مدنهم

وقد بنو مدنهم في لبنان على رؤوس الجبال وسفوحها. وعلى الشواطئ والجزر القريبة منه. ليجمعوا بهذا العمران بين مزاولة الزراعة والفلاحة. وبين صيد الأسماك من البحر. وكان من أشهرها مدينتا صيدا وصور. وهما جنوب لبنان. وليس بينهما مسافة بعيدة. واتخذوا صور عاصمة لبلادهم. وبلغت نهاية عزها سنة 970 ق. م. أيام ملكهم المسمى حيرام.

صناعتهم

وقامت في هذه المدينة وغيرها صناعات اعتبرها المؤرخون بالنسبة لذلك الزمن من أرقى الصناعات القديمة. وأشهرها صناعة النسيج وعمل الأواني من الذهب والبرونز والحلي والزجاج. وأتقنوا بنوع خاص استنباط الصبغة من أصداف البحر.

تجارتهم

ومما لا شك فيه أنهم كانوا اسبق الأمم الغابرة إلى العناية الزائدة بالأعمال

الاقتصادية. وعليها قامت عظمتهم ودولتهم القوية. فاخذوا من غابات لبنان الشجر المسمى الأرز ذا الأخشاب المتينة. وبنو منه سفنا لاعداد لها تقوى على السفر الطويل ومصارعة البحر الهائج. ثم احترف أبناؤهم بوساطتها التجارة مع البلدان البعيدة والقريبة. وبرعوا في هذا العمل براعة فاقت حد الوصف وامتدت أسفارهم البحرية إلى جهات العالم القديم شرقا وغربا. وجلبت قوافلهم وسفنهم من مكان لأخر حاصلات العرب والهند والقوقاز وآشور فربحوا ربحا لم تنازعهم فيه أمة من الأمم.

ميزتهم

وعدا هذا التفوق مزاياهم ذات الأثر الكبير في التاريخ. أنهم كانوا رسل الحضارة الشرقية الناشرين لها في أوروبا ولكي يضبطوا معاملاتهم مع الناس درسوا الخط المصري. ثم اخترعوا منه أحرف للكتابة السهلة. وجعلوها متكونة من اثنين وعشرين حرفا ساكنة ومتحركة حسب ملامتها لألفاظ لغتهم. واخذ هذه الحروف منهم الإغريق ونقلها عن هؤلاء الرومان وبذلك انتشرت أصولها في أنحاء أوربا ثم لما راجت بضاعتهم في بقاع الأرض أسسوا في البلدان الكائنة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط. وفي جزائره مراكز كثيرة للمبادلات التجارية.

مستعمراتهم

فاستعمروا في قبرص ورودس وكريت وقد خرجت من يدهم في حروبهم مع اليونان. واستعمروا في سردينيا وصقلية ومالطة. واجتازت سفنهم الكبرى مضيق جبل طارق إلى اسبانيا الغربية فأنشئوا فيها مدينة قادس. ووصلوا منها بحرا إلى جزائر ماديرة في المحيط الأطلسي. بل وصلوا أيضا إلى سواحل الجزائر البريطانية أما شمال إفريقيا فقد صار لهم لبنان الثاني. وبنو

في تونس مدينة صارعت أقوى دولة في ذلك العهد. سموها قرطاجنة بمعنى القرية الحديثة.

أسئلة واختبارات

مع من ولأي سبب حارب اليونان في ليبيا؟ وعلام انتهى هذا الحرب؟

وما علاقة هذه التواريخ (640 – 535 ق. م. – 96 ق. م.) بتاريخ اليونان في برقة.

اذكر ما كان لليونان في برقة من النشاط الزراعي والعناية بالمواصلات. ثم صلة الليبيين من أهالي برقة بهم ثم حدثنا كيف زال حكمهم منها.

إلى أي جنس وارض ينتمي الفينيقيون؟ وماذا عرفت عن حياتهم في وطنهم الأصلي؟

قال المؤرخون إن الفينيقيين برعوا في ثلاث أمور اقتصادية الصناعة والتجارة والكتابة فكيف تثبت صدق هذا القول؟ وما أشهر مستعمراتهم الاقتصادية.

ليبيا والفينيقيون

(18 – 17)

اتصالهم بليبيا

وقد اتصلوا بليبيا الغربية إقليم طرابلس حوالي سنة 900 ق. م. لنفس الغرض الذي استعمروا من اجله في البلدان المتقدم ذكرها. ولما جاءوا إليها قبل ظهور قرطاجنة لم تكن لهم أطماع سياسية في الاستيلاء عليها. بل كان مأربهم الوحيد هو أن يجعلوا فيها نقاطا تجارية. وموانى ترسو عليها السفن فتنزل البضائع أو تنقلها. وتأخذ ما تحتاج إليه من ماء وغذاء. وتصلح ما فيها من فساد. أو ليرتاح رجالها هم والمسافرون من طول السفر المضني. ولما سمح لهم الطرابلسيين بالنزول أقاموا برضاهم مراكز على الشواطئ ليبادروا بالهروب كلما أحسوا من الليبيين شرا. وتزلفوا للأهالي بالخضوع لما يطلبون من أثمان الحاجيات. ودفعوا الأجور الحسنة للعمال الذين احتاجوا إليهم لتفريغ حمولة السفن أو شحنها. فحصلت بهم في البلاد حركة اقتصادية لم يألفها الناس من قبل.

لباقتهم

وما يدلنا على لباقتهم التجارية إنهم قبل أن يستولوا على ليبيا الغربية بالقوة كانوا يرحبون بالسكان في داخل مراكزهم. ويتلقونهم بالبشاشة والإكرام. ويظهرون لهم المحبة والامتنان. وبهذه الحيل المسبوكة ارتبط الجميع بالألفة. وزادتهم المصالح المشتركة ارتباطا. ثم صاروا يدخلون الأرياف فيتجرون بالمواشي والجلود والأصواف وما يجدونه فيها من الأشياء الأخرى. مقابل سلع

تافهة من المصنوعات النادرة، كالأدوات المعدنية والأصباغ والزجاج. ويرجعون محملين سلعهم فوق الجمال فتأخذها السفن حيث يريدون. بناء المدن

ولما وثقوا من صداقة الأهالي بنو في ليبيا مدنا ثلاث هي لبدا وصبراته واويا المقامة على أطلالها مدينة طرابلس، ومعناها المدن الثلاث، وكانت على الطراز الفينيقي المعروف في بلدانهم، وعمرت بالسكان الفينيقيين مما أتوا من لبنان وممن هم ساكنون بقرطاجنة، ومن الليبيين أنفسهم، وكان الفينيقيون يعتبرون أنفسهم غرباء عن البلاد، فلم يتعد نفوذهم داخل هذه المدن، وتركوا الليبيين يديرون شؤونهم حسب عاداتهم، ولما أصبحت قرطاجنة دولة عظيمة، استولت حوالي سنة 400 ق. م. على المغرب كله من جبل طارق إلى سرت، فتغيرت حينئذ معاملتهم للطرابلسيين، وانقلبوا من جالية غريبة إلى امة متسيطرة بقوتي البر والبحر.

قرطاجنة

وقرطاجنة كانت أجمل مدينة أسسها الفينيقيون على شواطئ البحر الأبيض المتوسط بأفريقيا، أقيمت سنة 813 ق. م. على أرض مرتفعة بمدخل الخليج التونسي وتبعد عنها بستة عشرة ميلا.

قصتها

وقصة بنائها كما رواها المؤرخ الروماني (يوستينس) وكان موجودا في القرن الثاني بعد الميلاد، انه كان في صور ملك فينيقي، له ولدان ابن يسمى (بغمليون) وبنت يقال لها (عليسة ديدون) أوصى لهما بان يشتركا في أمر الدولة من بعد، فما مات أبوهما تزوجت ديدون عمها الكاهن، صاحب المال الغزير والنفوذ الديني العظيم، ولم يلبث ابن ذلك الملك أن قتل عمه زوج أخته عليسه ديدون طمعا في كنوزه، ولكن أخته لم تمكنه من الظفر بتلك

الثروة الطائلة، فاحتالت على أخذها سرا، ثم وضعتها في سفينة وفرت بها مع جماعة من حاشيتها إلى ساحل تونس، واشترت من أهلها بقعة أرض بنت فوقها مدينة قرطاجنة سنة 813 ق. م. كما تقدم وحين تم بناؤها تسارع إليها الناس من جميع البلدان، جاءوها من أوروبا والمغرب وسوريا وليبيا واليونان وعمرت بهم سكانا ورقيا، وامتدت من حولها الضواحي الجميلة والقرى الزاهرة والحدائق الغناء والمزارع الخضراء، وازدحمت بالخلق الكثير، واكتظت المباني بأصناف المخازن التجارية ومعامل الحرف الشتى.

حكومتهم

واتخذها الفينيقيون الوطن الثاني فاحتفظوا لأنفسهم فيها بالكلمة المسموعة والحرية المطلقة في إدارة شئونها وكانت حكومتهم على النظام الجمهوري، مؤلفة من مجلسين اثنين، مجلس الشيوخ ومجلس الشعب، فالأول أعضاؤه منتخبون من أرباب الجاه والمقامات العالية في البلاد، ومنحه كبار التجار والأغنياء كل تأييد ومساعدة، لأنه كان دائما لا يهتم في أعماله إلا بمصالح الأعيان وأرباب الثروة، والثاني وهو مجلس الشعب أعضاؤه من أفراد الأمة ذوي الحالة المتوسطة، ويمثلون صغار التجار والفلاحين وعمال الحرف اليدوية، ونفوذ هذا المجلس بالنسبة إلى مجلس الشيوخ محصور في أمور تافهة لا قيمة لها.

دستورها

وكان لحكومتهم دستور حسن شكره حتى الفيلسوف الكبير (أرسطو) أستاذ الأسكندر المقدوني، ومن مواده أن تتولى إدارة الحكومة عائلتان من العائلات الكبيرة، واحدة تكون بيدها أوامر الحرب والقتال، وواحدة تكون بيدها مصالح الأمة مما يتعلق بالتجارة والعمل وترقية البلاد.

قوتها

وكان لجمهوريتهم جنود من كافة الأجناس، احترفوا الخدمة العسكرية للارتزاق بأجور معينة، وأنشأوا في أحواض قرطاجنة أسطولا حربيا هائلا، اخترعوا لوحداته طبقات خمسا ليزداد بالتجديف سرعة، خصوصا وقت هدوء الرياح، وكانت سفن النقل من تجارية وغير تجارية لا حصر لعددها.

العلم

ولقد ظهر في قرطاجنة علماء فينيقيون من الأفذاذ النادرين، من أشهرهم ذكرا العلامة (ماغون)، وامتاز بأنه أول عالم بحث طبيعة الأرض من جهة الزراعة والفلاحة وأنواع التربة؛ وكانت أبحاثه في هذا الشأن (وقد ألفها في كتاب عرف باسمه) تحفة قيمة لكل مشتغل بخدمة الأرض سواء كان مالكا لها او مزارعا فيها، ومن آراء العلامة (ماغون) إن الإقامة بالمدن أو الجمع بين امتلاك الأرض الزراعية واقتناء الدور للإجار أشياء لا تناسب الفلاحين بتاتا قائلا (فمن يريد أن يفلح لابد له من أن يبادر ببيع داره، ومن كان يعتني بالدور لا حاجة له بالضياع) وظهر منهم سائحان عالمان يعتبران من أقدم علماء الجغرافيا الوصفية ومؤلفيها، فالأول اسمه (حنون) رحل إلى سواحل أفريقيا الجنوبية وكتب عنها جميع مشاهداته، والثاني اسمه (علقمون) قد ساح في الشمال الغربي حتى وصل بريطانيا ودون أيضا مشاهداته.

اللغة الليبية

ولقد تعلم الفينيقيون اللغة الليبية السائدة وقتئذ بجهات تونس والجزائر، واستعملوا خطها المعروف بالخط الليبي، ومزجوا مفرداتها بلغتهم الأولى ثم كونوا من ذلك لغة جديدة استعملت رسميا في شمال أفريقيا واشتهرت في التاريخ باللغة البونيقية، وفي هذا اكبر دليل على مدنية

الليبيين القدماء، وانفرادهم عن شمال أفريقيا بمزايا أدبية ثقافية لا تنكر، وأما حضارة قرطاجنة فذلك شيء رائع لا يوصف.

ديانتهم

ولقد كانت ديانة الفينيقيين وثنية أيضا كاليونان والليبيين القدماء ومن أشهر معبوداتهم الشمس والقمر.

تمارين للتثبيت

لأي غرض اتصل الفينيقيون بطرابلس؟ ومتى كان هذا الاتصال تقريبا؟ وكيف تصف معاملاتهم لأهاليها في أول مجيئهم، ولباقتهم في جلب رضاهم؟ ثم ما هي الآثار التي أسسوها بطرابلس، تكلم عما يأتي (أ) قصة بناء قرطاجنة (ب) موقعها (ج) عظمتها (ه) قوتها (ن) ماغون (ع) اللغة البونيقية.

الفينيقيون

(20 – 19)

عصرهم الذهبي

وكان الفينيقيون في لبنان قد تكاثرت عليهم المصائب من حروب الفاتحين لبلادهم. فقد حاصر بختنصر ملك بابل مدينة صور مدة طويلة ثم ظفر بها وخربها، وغزا أرضهم الفرس وادخلوها ضمن ممالكهم. وبعد زوال نفوذهم من لبنان ورثت قرطاجنة عظمة صور، وأصبحت هي الحاضنة لجميع أبناء جنسها. ولما شعرت بقوتها الحربية تنازعت هي واليونان في البحر الأبيض المتوسط من اجل الانفراد بالسيطرة على جزائرها.

احتلالها

وقد بلغت قرطاجنة في القرن السادس الميلادي أجمل أيام حياتها فاستولت على شمال أفريقيا بلدة بعد أخرى واجتاحت عام 790 ق. م. ليبيا فضمت إليها طرابلس والإقليم الجنوبي بعد حروب مع أهاليها قوية. وقد حاولت أن تأخذ من اليونان برقة فقابلوها بالدفاع الشديد ووقعت بينهما حروب عدة انتهت بالصلح وأقاموا حدا فاصلا بين الطرفين. ثم عقدوا معاهدة بحسن الجوار كما تقدم بيانه.

مشروعهم

وبعد أن تحسنت علاقتهم في ليبيا مع اليونانيين. أحدثوا مشروعا اقتصاديا جاء نادر المثال وجاء خير دليل على لباقتهم في معرفة الأسباب المؤدية إلى الربح الجزيل. فقد أسسوا فيها للمواصلات التجارية ثلاثة طرق

كبرى الأول كان يبتدئ من قابس إلى غدامس والثاني من صبراته إلى فزان، والثالث من لبدا إلى مسارب الصحراء المتصلة بالأقطار السودانية ووصلوا المدن الليبية الثلاث صبراته وأويا ولبدا مع قرطاجنة بطريق ساحلي آخر. بلغ طوله نحو خمسمائة وأثنى عشر ميلا.

من نتائجه

وكان من نتائج هذا المشروع الخطير، إن التجار الفينيقيين، وان شئت فقل القرطاجنيين احتكروا حاصلات ليبيا الزائدة عن حاجة السكان كلها، وانفردوا وحدهم باستجلاب البضائع من الخارج بلا منافس أخر. يشترون المنتجات بالثمن البخس ويبيعونها بالثمن الغالي.

رواج التجارة

واتصلوا عن طريق فزان بثروة أفريقيا الوسطى، فصارت قوافلهم تمشي إلى ليبيا الجنوبية صباح مساء، وفي ذهاب وإياب متصلين. فتنقل من طرابلس السلع المرغوبة في السودان وترجع إلى طرابلس محملة بالحاصلات الأفريقية من خشب الأبنوس وريش النعام والطيور الجميلة كالطاووس ومن العبيد والذهب وسن الفيل، ثم تضع أثقالها بإحدى المدن الثلاث، أو تذهب عن طريق غدامس إلى قرطاجنة مباشرة.

الشحن

ومن هذه الأماكن يشحنها عمال المواني في السفن فتبحر بها هي وأصحابها إلى البلدان الأخرى، متاجرين في اليونان وشبه جزيرة ايطاليا واسبانيا والقوقاز والجزائر البريطانية وغيرها من جهات أوروبا الجنوبية ثم يؤبون إلى أوطانهم في شمال أفريقيا وقرطاجنة وجيوبهم مملؤة بالأموال وقلوبهم فائضة بالسرور.

مزايا احتلالهم

والواقــع أن مزايا الاحتلال الفينيقي، قــد اختصوا بها هم وحدهم ولكن إنصافا لحقائق التاريخ، فان الليبيين اســتفادوا منهم حســنات لا نســتطيع نكرانها

- فقد فتحوا أذهان الليبيين عموما إلى أشــياء لم يروها عند اليونان والمصريين
- وروجــوا بإنشــاء المدن وتصريــف الحاصلات، وبكــراء القوافل وعمال المواني حركات اقتصادية وســعت في البلاد أمور المعيشــة، وشــغلت كثيرا من الرجال المتعطلين.
- وتعلمــوا منهــم زراعة الخضــروات والبقول حول القــرى وكثيرا من أساليب الفلاحة الجديدة.
- وعلــى يدهــم تكونت فــي ليبيا وغيرهــا من بلدان المغرب غراســة النخيل والزيتون وأنواع الكروم.
- واقتبســوا منهم أيضا دبغ الجلود والحياكة وتربية النحل وصناعات يدوية هامة.
- واخذوا عنهم كثيرا من مظاهر التمدن الشرقي وتحضير الأرياف.

المنافسة

ولما عظمت دولة قرطاجنة بالثراء الطائل والجند الوافر والأساطيل القوية واتســاع الممالك وكثرة السكان وبراعة الحكم، خاف الرومان الكائنة أرضهم فــي شــبه جزيرة ايطاليا على أنفســهم مــن أن تبلغ بها الجــرأة والقوة إلى غزو بلادهم، فتحرشــوا بجزائر قرطاجنة في البحر الأبيض المتوســط يريدون أخذهــا، ولم يطل عليهما الوقــت حتى وقعت بين الطرفــين حروب طاحنة، تنافسا على طرق الملاحة، ورغبة في السيطرة على البلدان المحيطة بشواطئ البحر الأبيض المتوسط.

حروبها

واشتبكوا فيها ســنين طويلة، بحروب هوجاء دامت مائة وإحدى وأربعين سنة، وأريقت فيها الدماء كالأنهار، وخسر كلا الشعبين الأرواح والمال، وكانت فــي أثناء هذه المدة هدأت أعوامــا فإنما هو لتلافي النواقص وأعداد الجيوش لن تعود إلى فضاعتها الأولى وأحوالها الســابقة، ومنذ ابتدائها والنصر حليف الرومان، وكانت الأولى سنة 462 ق. م. وانتهت بتراضي الطرفين على الصلح ودفعت قرطاجنــة للرومان غرامة كبيرة باهظــة، وتنازلت عن معظم جزيرة صقلية.

هانيبال

وفــي الحرب الثانيــة ظهر القائــد القرطاجنــي (هانيبال) وعمره تســع وعشــرون ســنة، وله في التاريــخ الحربي القديم مــا لاســكندر المقدوني من البطولة والشــهرة، فتســلم قيادة الجيوش القرطاجنيــة، ثم زحف بها على اســبانيا فأخضعها، وتقدم إلى جنوب فرنســا فاستولى عليها، واجتاز جبال الألب الوعرة واســتمر في زحفه إلى أن نزل على ســهول شبه جزيرة ايطاليا الشمالية، وهناك اشتبك مع الرومان في حروب قاسية برهنت على شجاعة القرطاجنيــين وبراعتهم في القتــال كما تفوقوا على غيرهــم بتدابير المال، وانتصر عليهم هانيبال في عدة مواقع ولكنه لم يقدر على فتح عاصمتهم روما، ولما طال به الأمد ولم تمده قرطاجنة بالرجال والذخائر، اضطر للانسحاب مــن ايطاليــا ورجع إلى وطنــه، ففاجأه نــزول الرومان بــأرض قرطاجنة، بقوة هائلة من الأســطول والجند الكثيف، تحت قيادة بطلهم الشــهير المســمى (سيبيو).

نهايتها

والتحم الفريقان في معركة (زماما) الفاصلة بأراضي تونس سنة 202 ق. م. فانتصر فيها الرومان وأملوا على قرطاجنة شروط الغالب على المغلوب. وهي دفع غرامة جسيمة جدا، وجزية سنوية وتسليم أسطولها عدا عشرين سفينة، والتنازل عن مستعمراتها في اسبانيا. وعبد خمسين سنة رجعت قرطاجنة إلى عزها السابق فقامت بينهما سنة 146 ق. م. حرب ثالثة وأخيرا فاز عليها الرومان، ودخلوا عاصمتها قرطاجنة فاثخين إياها بالقوة الجبارة، وأزالوا حياتها من الوجود، ثم استولوا على جميع ممالكها وحولوا أراضيها إلى ولايات رومانية سموها أفريقيا، ومن جملتها ليبيا.

من هم الرومان

والآن فلننتقل إلى دراسة ليبيا في عهد الرومان وهم أعظم دولة قديمة امتد سلطانها قرونا عدة، وأخضعت لنفوذها أقطارا شاسعة في كل من أوربا وآسيا وأفريقيا، وخلفت في ليبيا آثارا لا تزال موجودة.

اختبارات

صف لنا المشاريع الاقتصادية التي أحدثها الفينيقيون بليبيا ثم كلم عن النقاط الآتية:

ما استفاده الليبيون من الاحتلال القرطاجني.

الثمرة التي تحصل عليها القرطاجنيون من ليبيا.

وصف الوسائط الناقلة للمحصولات برا وبحرا.

المناسبة التي ذكت فيها التواريخ الآتية: 795 و364 و146 ق. م.

ترجمة هانيبال وأسباب عظمته.

ما عرفته عن سبيو ودولة الرومان وما هي الشروط التي أملوها على

قرطاجنة في الحرب الثانية؟ ولم عجز هانيبال عن فتح روما؟ وما الأسباب السياسية التي دعت إلى حروب قرطاجنة وروما؟

ليبيا والرومان

(21 – 22)

أصلهم وموطنهم

قلنا سابقا إن الرومان أعظم دولة قديمة امتد سلطانها على القارات الثلاث أوروبا وآسيا وأفريقيا، والآن نقول أن أصلهم كاليونان من القبائل الآرية التي هاجرت قبل آلاف السنين من شواطئ بحر قزوين بآسيا إلى أوروبا، ونزل أجدادهم الأقدمون المسمون باللاتين في شبه جزيرة ايطاليا، ولما وجدوا فيها قبائل (الاترور) التي كانت تسكنها قبلهم، حاربوها حتى تغلبوا عليها وأخضعوها لسلطانهم.

روما

وفي سنة 753 مدة تأسيس قرطاجنة، بني ملكهم (رومولوس) حصنا عظيما حمل فيما بعد اسمه فقيل له (روما) وازدادت من حوله المباني حتى انقلب مع طول السنين مدينة كبيرة، واشتهر سكانها في التاريخ باسم الرومان.

حكومتهم

وقد حكمهم في أول نشأتهم ملوك من الاترور ثم ملوك من اللتين، ثم أقاموا جمهورية ارستقراطية أي رجالها الكبار من الأعيان، وتولى أمورها اثنان من هؤلاء سميا بالقنصلين، وفيهما مجلس منتخب من الأغنياء وأصحاب النفوذ ومن الشيوخ الكبار ذوي الرأي الحسن قيل له (مجلس السيناتو).

الإمبراطورية

ثم تركوا هذا الأسلوب الجمهوري وتحولوا إلى الحكم الإمبراطوري الذي معناه نظام ملكي يخضع له ملوك أو أمراء كثيرون وبلدان وأقطار واسعة.

حروبهم

وبعد أن توحدت كلمتهم حاربوا الإغريق جيرانهم الشرقيين، وحاربوا قرطاجنة، فكانت لهم في هذين الحربين الانتصارات الباهرة، وأصبحوا دولة تخشى الدنيا سطوتها، وفتحوا بتدريبهم العسكري العجيب، أوروبا الغربية وممالك البحر الأبيض المتوسط من جميع الجهات.

حضارتهم

وورثت حضارات الدول التي جاءت من قبلها، وهي اليونان والفينيقيون والفراعنة، فحافظ الرومان على جمالها الأخاذ في كل شيء، وزادوا عليها فنونا جديدة من عندهم، وقد أصبحت روما في عهد الإمبراطور (أغسطس) منازلها مشيدة بالرخام الناصع، بعد أن كانت قبله مبنية بالأجور والطوب.

ميزتها

وقد امتازت حضارة الرومان على غيرها بثلاثة أمور أولها بأنهم وضعوا للعالم أصول القوانين الاجتماعية الملائمة لحياة الأمم وهي مستعملة للان في جميع محاكم الدنيا عند الشعوب الراقية، وثانيا باختراع النظم العسكرية الكفيلة بتدريب الجند على أصول القتال وتربيته على الشجاعة واحتمال المكاره، والانقياد لرؤسائه أيام الحروب القاسية، وثالثها ببراعتهم في تعبيد الطرق للمواصلات وهندسة المباني وعلى الخصوص منها أنظمة القنوات المائية لري الأراضي المنزرعة.

قيصر

ومن أشـهر عظمائهم زمن الإمبراطورية، الإمبراطـور (يوليوس قيصر) فقد كان سياسـيا حكيما يدرك رغبات الناس ومصالح الشـعوب المحكومة فيتصـرف فيها بما يحفظ حقـوق الرومان، ويرضي مطالـب الناس، وهو عدا ذلك بطل حربي شجاع، صحب الجيوش الرومانية إلى ساحات القتال، وقادها بنفسه في الحروب التي خاضتها في أوروبا وآسيا وأفريقيا، وكان في الخطابة المتكلـم الفصيح الذي يؤثر على المسـتمعين له فيمتلـك أفئدتهم بجمال الألفاظ وبلاغة المعاني، وعلى الرغم من هذه الصفات الغراء فقد مات مقتولا سنة 44 ق. م. بروما.

شيشرون

واختص شيشـرون بالعظمـة الأدبية فهو أول من كتـب الأدب الروماني باللغـة اللاتينية، وجعلها لسـانا صالحـا للتعبير عن المعانـي المقصودة، ولا تزال أثاره الفكرية نموذجـا أدبيا في جميع أنحاء العالم الأوروبي، تلك خلاصة مفيدة للتاريخ الروماني أتينا بها في هذا المقدار إيضاحا للكلام الأتي.

ليبيا والرومان

فلما انكسرت قرطاجنة قام الليبيون على من بقى فيها من الفينيقيين بثورة عامة، قتلوا فيها رجالهـم ونهبوا مدنهم وخربوها، ثم خضعوا لنفوذ الليبيـين الأقويـاء، وانضم هؤلاء إلـى الإمبراطورية البربرية فـي المغرب زمن رئيسـها (يوغورطه).

حروبها

وظلـت فـي أحوال مضطربة غالبا إلى سـنة 102 ق.م. ففي هذا الحين

جاءها الرومان بالأساطيل والجيوش البرية يريدون احتلالها، فتناسـى زعماؤها ما كان بينهم من تنافس وأحقاد، والتف من حولهم الشعب الطرابلسـي ثم تقدموا جميعا للرومان، واشتبكوا معهم في حروب دفاعية هجومية قاسية الملاحم، ملاحم بين أمة قلوبها مليئة بالشجاعة والتفاني في سبيل حريتها، وبين غزاة دوخوا العالم بقواتهم الجبارة، وبجندهم الكثيف الباسل.

احتلالها

وبعد لأي تغلب الرومان واستولوا على البلدان الساحلية إلى نهاية حدود برقة الغربية المعروفة عند التكلم عن اليونان.

الدفاع

ثـم ان الليبيين المحاربين تركوا للرومان الأراضـي المحتلة وتباعدوا عنها إلى القـرى الجبلية ومجاهل الصحراء، ونزح بعضهم إلى الإقليم الجنوبي، وصاروا يغيـرون علـى الرومان المرة بعـد المرة ثم يرجعـون وراء من حيث اتـوا، وكلما أرسـل الرومان حملة لإخضاعهم والقضاء على مراكزهم الدفاعية اعترض الليبيون طريق الحملة بالقتال العنيف، واسـتمرت الحرب والمناوشـات بينهم سجالا، مرة يغلب الرومان ومرة يفوز الطرابلسـيون إلى سنة 19 ق.م..

حملة لوجيو

ففي هـذا التاريخ جهز الرومـان حملة مليئة بالجند والذخيرة وسـلموا أمرهـا لقائد عظيم اسـمه (لوجيو بالبو) فاكتسـح بها البـلاد الداخلية، وألزمها السكينة والانقياد.

فزان

وتابـع سـيره نحـو الجنوب ففتـح غدامـس المسـماة في ذلـك العهد

(سيداموس) وفتح بعدها فزان ثم ترك في تلك الجهات فرقا لحفظ الأمن وعاد لطرابلس عودة القائد العظيم، وكافأته أمته بما يستحق من حفاوة وتقدير. وفي سنة 37 بعد الميلاد وصل نفوذهم إلى أطراف من أراضي السودان كما كان في عهد قرطاجنة. ومع هذا فقد حصلت في البلاد ضدهم ثورات عدة، وظلت دماؤها تسيل إلى ان كانت سنة 64 بعد الميلاد. ففي هذا الزمن خمدت نيرانها وتمكن الرومان من احتلال طرابلس وفزان احتلالا تاما.

برقة

وأما برقة فقد ظلت بعد احتلال طرابلس تابعة لحكم البطالسة بمصر، واستمرت على هذا الحال إلى سنة 31 ق. م. ففي هذا الحين اتجهت غزوات الرومان نحو الشرق، واستولوا على مصر وقضوا فيها على بقايا البطالسة، وبذلك خضعت برقة لدائرة النفوذ الروماني وتغافلوا عنها فتركوها مدة تقوم بشئونها الخاصة على أسلوب حكومتها السابقة.

ثورة برقة

وفي سنة 86 ميلادية احتلوها بالقوة العسكرية وجعلوها ولاية من أملاكهم، وابقوا حياة المدن الإغريقية زاهية مثل أيام اليونان، غير انه بعد عشرين سنة طرأ عليها حادث عظيم يعتبر هو التاريخ الحقيقي لانتهاء الحضارة الإغريقية من برقة، وأزال خلال عامين جميع ما بناه اليونان في قرنين، وحول مدينة سرينا ذات الجمال الرائع والمجد الأثيل، وغيرها من القرى الزاهرة إلى أطلال خربة وأحياء أثرية كأنها لم تكن عامرة من قبل.

أسبابها

ذلك الحادث يتلخص في انه كان قد نزح إلى برقة بعض من يهود فلسطين الفارين من مظالم الفاتحين لبلادهم، وكأنه لحقتهم في برقة مظالم

أخرى فوق آلام الاغتراب عن أوطانهم الأولى فانتهزوا انشغال جنودهم مع إمبراطورهم (ترجان) بحرب الفرس، وثار منهم سنة 115 بعد الميلاد على أهالي المدن الإغريقية خمسون ألف يهودي ثورة انتقامية مسلحة، قتلوا فيها من السكان الرومان عشرات الألوف، وخربوا سرينا وغيرها من المدن تخريبا تاما، ولم يرجع لها من بعده عن.

نتائجها

وبعد ان استمرت هذه الثورة العنيفة إلى سنة 157 ميلادية تغلب عليهم الرومان ونفوهم من برقة إلى ارض سرت، فانشأوا فيها بلدة سكنوها عرفت باسم اليهودية، ومع مرور السنين انتشروا في امسلاتة وغريان ومصراته وغيرها من المدن الليبية، وأصبحوا ليبيين وطنا ولغة، وهم في الأصل من الجنس السامي كالعرب.

اختبارات.

ما هو أصل الرومان؟ وكيف اشتهروا بهذا الاسم.

وما الفرق بين عظمة هانيبال وقيصر، وبين ماغون وشيشرون.

اشرح لنا الحوادث التي جرت في ليبيا سنة 12 ق.م. وسنة 13 ق.م. وسنة 96 ب.م. وسنة 115 ب.م.

ولأي غرض ذكرنا في هذا الدرس كلا من أغسطس ويوغرطة والاترور وترجان وفلسطين واليهودية.

لكل امة عظيمة مزايا تاريخية فما هي ميزة الرومان.

ثم ما الفرق بين جمهوريتي قرطاجنة وروما في نظام المجالس الحكومية؟

ليبيا والرومان

(23 - 24)

حكومة ليبيا

وحكومة ليبيا الرومانية كانت مؤلفة من موظفين رومانيين مرتبطين في أعمالهم بوال عام يحكم البلاد باسم الإمبراطور المقيم في روما.

لبدا وسرينا

واتخذوا مدينة لبدا العاصمة، ثم نقلوها إلى أويا المبنية على أطلالها مدينة طرابلس، وهم الذين سموها بهذا الاسم، وابقوا سرينا عاصمة لبرقة.

الوالي

وكان من اختصاص الوالي عدا إشرافه على المستخدمين انه يعين الحكام العسكريين لمختلف الجهات لينفذوا أوامره في مناطق الريف، وليبادروا بالقضاء على أي اختلال للأمن والراحة.

البلديات

وأقاموا للأهالي بلديات محلية ومنحوها الاستقلال في معالجة أمور الضرائب وجباية الأموال المقرر أخذها للصرف على إصلاح البلدة ومرتبات مستخدميها، بشرط أن تعرض ميزانيتها على الوالي ليقرها أو ليعدلها.

وظائف الليبيين

وانحصر حظ الليبيين في الدواخل من وظائف هذه الحكومة بان جعلوا للقبائل رؤساء عليها منتخبين من أفرادها الوجهاء، وكثيرا ما تكون هذه الرآسة وراثية أن كان الشخص لائقا بها. ويكون بجانبه مجلس من

أعيان القبيلة يساعده في قضاء المصالح، وهو تابع في تصرفاته للحاكم العسكري الروماني، ولم يقتصر الرومان على ذلك التنظيم الإداري بل زادوا عليه إصلاحات أخرى تناولت جميع ما فيها البلاد من لوازم الحياة الراقية، لفائدتهم هم أولا ولفائدة الليبيين رعاياهم ثانيا.

بناء المدن

وكان من أول مساعيهم في ترقية البلاد وإصلاحها، إنهم أعادوا البلدان الخربة إلى زينتها الأولى، فبنى إمبراطورهم (هرديان) مدينة سرينا التي خربتها ثورة اليهود بناءا جديدا، ولكنه على الرغم من اجتهاده في تحسينها فقد بقيت في حال اسيف، ولم ترجع لجمالها السابق فنزح عنها سكانها شيئا فشيا، ثم أصبحت دامرة كأنها لم تعمر من قبل، أما حظ المدن الفينيقية في طرابلس من عناية الرومان بها فقد كان حظا كبيرا مملوءا بالعمل والنشاط، فتكاثرت في البلدان المزدحمة بالناس من صبراته غربا إلى نهاية شرت شرقا، ومن يتجول باحثا عن بقايا آثارها في شواطئ جدايم وزليتن واراضي اورفلة وترهونة ومصراته وغيرها، يجد من الأطلال المردومة تحت التراب أو المكشوفة على ظاهر الأرض كل أثبات على وصول الحضاؤة إليها، ويجعله يتحصر على عدم محافظة الليبيين على ما تركته لهم الأمم الغابرة، على ان بعضها في الحقيقة تلف لمرور السنين.

وصفها

ولقد جدد الرومان البنيان القديم في تلك المدن على وضعه الأصلي فتركوا أحياء المدن اليونانية والفينيقية وما فيها من شوارع وأسواق وميادين مثلما كانت عليه قبل مجيئهم، أو مع تغيير قليل لتحسين مناظرها، وأما المباني المستجدة فقد جعلت عل الهندسة الرومانية، فأقيمت لبدا وصبراته وأويا على طراز المدن الرومانية في شبه جزيرة ايطاليا، فازدانت مبانيها بالرخام

الناصع والميادين المتسعة والأعمدة الرخامية الملساء. واكتظت هي وقصور الحكام والأعيان بأنواع مختلفة من تماثيل الفن الجميل التي تمثل الرجال العظام وأبطال التاريخ ومعارك الحروب. والمناظر الجذابة. وزخرفوا حجراتها وأروقتها بالنقش العجيب والتصوير البديع. وتحف الأواني المعدنية والأشياء النفيسة والثريات النادرة. واشتقوا لها في الجدار الأقواس العلياء والنوافذ الفيحاء. وفي أطلال مدينة (طلبة) ببرقة بقايا قصر قديم هو واحد من تلك القصور والمباني التي وصفناها هنا بايجاز.

حياتها

وكان المتفرج على هذه المدن أيام حياتها الزاهرة يرى فيها مدرجات المسارح والألعاب وأقواس النصر الشامخة والحمامات الجارية بالماء الساخن والبارد والحوانيت المحشوة بالبضائع. ثم هنا حدائق غناء وهناك نافورات تسكب الماء. وعندك في آثار لبدا وصبراته وطرابلس وسرينا ما فيه غنى عن الوصف ويمدك بالعلم الغزير. ومن المفهوم الواضح ان مدنا هذه أحوالها وأوصافها لابد وان تكون الحياة فيها على جانب عظيم من الرقي وطيب العيش. وهو كذلك فقد كانت الأيام السعيدة غمرت أهلها بكل خير ونعيم. فاشتغلوا كثيرا بحرف الحياة وأعمال الدنيا الضرورية حتى فاضت عليهم بالأرباح. فمتعوا أنفسهم بلبس النسيج الناعم الجديد. والمأكل الشهي وفرشوا بيوتهم بالأثاث الجميل الفاخر وتانقوا في أزياء الثياب ومآدب الأفراح. واقبلوا على الملاهي والمسرات يخففون بها أحزان القلوب.

المدارس

ولم يهملوا تغذية قلوبهم بالعلم والآداب فأنشاوا المدارس في القرى. وأرسلوا إليها أطفالهم يتعلمون فيها اللغة اللاتينية لسان الدولة الرسمي.

ويدرسون بها العلوم المنتشرة في وقتهم على أساتذة أكفاء. وكان المتخرج منها يذهب إلى معاهد روما العالية فيتمم تحصيله هناك ثم ينقلب إلى أهله مسرورا.

نصيب الليبيين

وقد نتج عن ميل الرومان للتساهل مع الليبيين طلبا لمعونتهم في ترقية البلاد. واعترافا بجدارتهم للحياة الفاضلة وتقديرا لبسالتهم في الحروب ان بعضا من أغنياء الليبيين وأرباب النفوذ الحكومي منهم قد شاركوا الرومان في كثير من أسلوب المعيشة الرومانية. فسكنوا مدنهم وصاروا يقلدونهم في العادات الأجتماعية الراقية. وبعثوا أولادهم إلى تلك المدارس يتعلمون فيها ما يتعلمه الطفل أو الشاب الروماني. بل منهم فريق أرسل أبناءه إلى معاهد روما أيضا فأتم فيها تحصيله العالي. واستطاع بعد تخرجه أن يظفر بحق المواطن الروماني فتولى أعلى مناصب الدولة وهي منصب الإمبراطور.

أختبارات

1 - مما كانت تتألف الحكومة الرومانية بليبيا وما عاصمة إقليمي طرابلس وبرقة أيامها.

2 - وما هي وظيفة الوالي العام وما علاقته بالبلديات وفي أي شئ كان اختصاص البلديات.

3 - لقد تحصل الليبيون على بعض النفوذ الحكومي في الدواخل وعلى بعض من الحياة الراقية في المدن فكيف تفسر لنا هذين الأمرين.

4 - ثم قد مر بنا من قبل إسم جدايم وزيلتن وهرديان ففي أي مناسبة كان هذا المرور.

5 - وبماذا أنت واصف لنا مباني المدن الليبية القديمة بعد إصلاحها.

6 - وبماذا يا ترى تحدثنا عن حياتها الزاهرة.

ليبيا والرومان

(26-25)

سفاروس

قلنا في الدرس الماضي ان بعضا من الليبيين أرسل أولاده إلى روما ولما تخرج من مدارسها تولى أعلى مناصب الدولة والآن نقول لنا على هذا القول دليل ليس فيه شك أو مبالغة. ذلك هو الإمبراطور سبتيموس سافروس. فقد ولد في مدينة لبدا من أبوين يرجع نسبهما إلى أقدم الأسر الليبية. ثم توصل باجتهاده المتواصل وعلومه الناضجة وتمتعه بحقوق الرومان أنفسهم. إلى ان تولى الإمبراطورية الرومانية من سنة 193 م. إلى سنة 211م.. وخضع لأمره القادة والأمراء وانقاد له أفراد الشعب وحكومته.

إخلاصه

وعلى الرغم من إحرازه هذا المقام الرفيع الذي ليس بعده في الأرض مقام آخر أسمى منه. فقد ظل حريصا على جنسيته الليبية كل الحرص. وصرف عنايته إلى ترقية أبناء وطنه الليبيين بالذي قدر عليه. فأدخلهم في الوظائف الكبرى والصغرى وقضى مصالحهم بما فيه الخير لجميع البلاد. ولم يسمح لأحد من الحكام بان يعتدي عليهم باغتصاب الحقوق أو الإهانة والاحتقار. وخص مسقط رأسه لبدا بالرعاية الصادقة في كل شيء. وقد اعترف له مواطنوه من أهالي لبدا بأياديه البيضاء على الليبيين بين قومه. فكانوا يرسلون له في كل سنة هدية من الزيت الفاخر. ولم يقطعوها عن أسرته حتى بعد موته.

أعماله بليبيا

ولما رأى ان مركز اويات يتوسط البلدان الطرابلسية وهو اقرب جهة إلى القرى المزدحمة بالسكان قرر جعلها عاصمة بدلا من لبدا

تنبيه وإعتذار هناك نقص في الأصل لصفحتي 65 – 66

الري – الزراعة – نموها – التجارة – رواجها – سبب الرواج

فائدتها لليبيين

ولقد كان نصيب الليبيين من مكاسبها وافرا غير قليل فاكتسبوا من التجارة الداخلية ببيع محصولاتهم من الحبوب والتمور والأصواف والزيوت والخيول والمواشي وجلودها وسمنها. واكتسبوا من تجارة السودان باحترافهم إياها. وبكراء القوافل وأجور المرافقين للإبل ولذلك بلغت التجارة من الرواج والنمو أيام الرومان الحد الذي لم تصل إليه في العهود السابقة.

ديانتهم

ولقد كان الرومان هم واليونان في الديانة سواء. فاتخذوا أيضا آلهة خيالية متعددة. ومن أشهر معبوداتهم جوبتر إله الحرب. ولما ظهر المسيح حاربوا ديانته السماوية واضطهدوا اتباعها بنفس الطرق التي حارب بها العرب الجاهليون النبي والمسلمين. وفي أواخر أيامهم آمنوا بها بالتدريج حتى صارت هي الديانة الرسمية للدولة. وكما تأثر الليبيون بوثنية الفاتحين لبلادهم كذلك اتبع بعضهم المسيحية وبقى عليها إلى ان جاء الإسلام.

اختبارات

من هو سبتميوس سفاروس؟ وما فضله على الليبيين والمغاربة، وما أشهر أعماله بطرابلس؟ وكم سنة دام حكمه؟ في أيام الرومان كثر الإقبال على الواردات السودانية فما هي هذه الواردات؟ ولاي غرض كان يقتنيها الملوك؟ ثم تكلم عن النقاط الآتية: (1) الطريقة التي كانت تحفر بها الآبار الرومانية للري. (2) وصف جسر طلميتة. (3) فائدة الليبيين من التجارة الرومانية. (4) ديانة الرومان.

ليبيا والرومان

(28-27)

تتمة ليبيا والرومان

والامر المهم الجدير بالبيان ان أكثر الليبيين زمن الفينيقيين والرومان – ما عدا قليل من سكان المدن الساحلية – لم يستفيدوا فيه من حضارتهما شيئا نافعا غير مستواهم إلى درجة أعلى، بل بقوا متمسكين بعاداتهم المتوارثة كمعظم إخوانهم البرقاويين في العهد اليوناني، يقيمون في مساكن شبيهة بمساكن العصور الحجرية وينامون فيها على الأرض أو الحصر، وملابسهم غالبا هي نفس الزي الذي وصفه لنا هيردوت، وإذا لبس احدهم الثوب بقى على بدنه بلا تغيير حتى يتشبع بالأوساخ ويبلى، وأساليب حياتهم كانت في العهد الروماني لا تتجاوز رعاية الماشية والفلاحة والتجارة الساذجتين الا قليلا، أو الأعمال الجسمية في المدن التي يسكنها أفراد الأمم المحتلة، مقابل أجور زهيدة لا يرضى بها غير الليبي، وقد استمر حكم الرومان في ليبيا نحو خمسمائة سنة وفي أوائل القرن الرابع الميلادي ضعف أمرهم بسبب الفتن المحلية بوطنهم الأصلي، التي نشأت عن تنازع إمبراطورتهم للانفراد بالحكم والسلطان، فغزتهم قبائل متبربرة جاءت إليهم من شرق أوروبا، ودخل رجالها روما فأكثروا فيها الفساد، وعلى يد فريق من هؤلاء يقال لهم الوندال زال حكم الرومانيين من ليبيا.

ليبيا والوندال

الهون

والوندال هم من قبائل الهون المتبربرة. وأصلهم من الجنس التتري المقيم بآسيا شرق بحيرة قزوين. وفي القرن الرابع الميلادي نزحوا عن بلادهم تحت قيادة رئيسهم (آتيلا) إلى جهات أوروبا الشرقية في أوقات ضعفها وانحطاطها وأغاروا عليها إغارة شعواء كالجراد المنتشر. وكانوا لا يصادفون شيئا في طريقهم الا جعلوه خرابا لا يرجى صلاحه. فاكتسحوا جرمانيا وفرنسا ثم هجموا على شبه جزيرة ايطاليا ارض الرومان. وكان هؤلاء متخاذلين محلولي القوى فحاصروا عاصمتهم روما. وتمكنوا من فتحها فاذاقوها العذاب المر والفظائع الكبرى من تقتيل وسلب وتدمير وإحراق وخطف للنساء والأطفال.

الوندال

وبعد ان اشبعوا رغباتهم الوحشية زحفت منهم سنة 409 م. على اسبانيا قبائل تسمى الوندال. فأخضعوها لسلطانهم واستقروا فيها حاكمين لشعبها ودعوها (اندلوسيا) وهي كلمة مأخوذة من لفظ الوندال. ولما جاءها العرب حرفوا نطقها بلفظة الأندلس.

المغرب

وفي أثناء وجود الوندال باسبانيا كان يحكم المغرب قائد روماني اسمه (بونفاشيو) غضبت عليه الإمبراطورة (بلادسيا) لوشاية من قائد أخر حاسد له. فظنت بناء عل تلك الوشاية ان (بونفاشيو) ينوي الاستقلال

عنها بافريقية فبعثت للقضاء عليه جيشا اشتبك معه في حرب قوي. فلما أحس (بونفاشيو) ضعفه طلب من الوندال المقيمين باسبانيا مساعدتهم اياه.

مجيوءهم فاغتنموا هذه الفرصة النادرة وجاءوا للنجدة مسرعين وقاتلوا جنود الإمبراطورة (بلادسيا) حتى هزموهم من المغرب. ثم خذلوا (بونفاشيو) وانتزعوا منه حكم البلاد وصاروا يحتلون شمال أفريقيا جهة بعد جهة. وهم يدمرون العمران ويعذبون السكان.

ليبيا

وحوالي سنة 440 م. وصل زحفهم إلى ليبيا فرأت منهم مصائب لم ترها من الفاتحين قبلهم. فأزهقوا فيها الأرواح واتلفوا المزروعات وسبوا النساء والرجال. ونهبوا القرى العامرة والمدن الزاهرة.

لبدا

ولما وصلوا إلى لبدا ووجدوها أبهى مدينة في شمال أفريقيا. غاظهم ان تكون في ذلك الجمال فخصوها بأرذل ما اعتادوه من الأخلاق الوحشية وجردوها من جميع المحاسن والخيرات. ثم خربوا مبانيها الرائعة وهدموا أسوارها الشامخة. وبعد ان تركوها اكواما من الحجارة والتراب وفر عنها أهاليها لاجئين إلى القرى البعيدة رجع أكثرهم إلى قرطاجنة وبقى منهم الجند المحتل تحت إمارة قادة ونداليين. يتحكمون في الليبيين بالعسف والجور.

حكومتهم

وكانت حكومة الوندال بالمغرب ملكية النظام. واتخذت عاصمتها مدينة قرطاجنة التي رممها الرومان بعد خرابها وجعلت لها اسطولا وجيشا قويين.

وتوددت للاهالي لكي تمحوا من اذهانهم ما علمت من سوء، ولكنها في نفس الوقت اضطهدت بقايا الرومان وانتزعت جميع املاكهم.

ملوكهم

وتركت البلديات ومشائخ القبائل على الترتيب الروماني، وقد ترأس حكومة الوندال ستة إمبراطور أو ملوك وكان أولهم الملك (قنسريخ) وهو مؤسس إمبراطوريتهم وامتد حكمه من ليبيا إلى منتصف اسبانيا، وبلغ من النفوذ الكبير لدرجة انه غزا ايطاليا وفتح سنة 455 م، مدينة روما واستباحها لجنوده أربعة عشر يوما، ولما مات خلفه ابنه (هوناريخ)، ثم مات بعد سبع سنوات، وجاء بعده ثلاثة ملوك من أسرته كانت أيامهم قصيرة الاجال، وفي سنة 530 م، انتقل الحكم إلى شخص منهم يدعى (قليمار) عامل الناس بكل قوة.

الثورة العامة

فهب المغرب ضد الوندال ثائرا من المحيط الأطلسي إلى ليبيا، وصار يقاتلهم بقلوب ملاها الغيظ الدفين وبشجاعة الذين فضلوا الموت على حياة الذل والهوان، فارتبك (قليمار) وجنوده من هذه الثورة العامة وقاوموها بما يملكون من رجال وقوة سلاح ولكن لم يستطيعوا القضاء عليها، واخذ الفشل يسري بين جموعهم وتيقنوا ان مصيرهم الفناء المحتوم.

البيزنطيون

ولما وصلت إلى إمبراطور بزنطية الملك (جوستانيوس) أخبار هذه الحروب الدائرة في المغرب أرسل لنجدة أهالي شمال أفريقيا أسطولا وجيشا كبيرين تحت إمارة قائد عظيم اسمه (بلزار) وكان يريد بهذه الحملة غرضين أولا ليسترجع البلاد لحكم الرومان البزنطيين وثانيا لينتقم من الوندال خصومه

الألداء، ولما نزل البزنطيون إلى البر وجدوا أبطال الثورة من المغاربة والليبيين قد اخضعوا قوة الوندال وسدوا أمامهم سبل النجاة.

زوال الوندال

لذلك ما كاد (بلزار) يحاربهم مدة قصيرة حتى انتصر عليهم بسهولة واستولى على شمال أفريقيا واسر ملكهم (قليمار) ورجع به إلى الإمبراطور (جوستانيوس) ذليلا وبذلك انتهى عهد الوندال البغيض ورجعت ليبيا إلى حكم الرومان البيزنطيين سنة 543 م.

البزنطيون

والبزنطيون هم رومانيون خلص، فبعد غزوات القبائل المبربرة على شبه جزيرة ايطاليا وتخريبهم روما، كثرت بين الرومان الاضطرابات الدينية والداخلية ففكر جمع منهم ان يجعلوا لهم ملكا وعاصمة آخرين لذلك انفصلوا عن إخوانهم مع الإمبراطور (قسطنطسن) وأسسوا سنة 313م.

مملكتهم

في نواحي بوغاز الدردنيل مملكة أخرى قيل لها المملكة البيزنطية أو روما الشرقية، واتخذوا عاصمتها مدينة القسطنطينية، على اسم الإمبراطور قسطنطين المتقدم الذكر، وهي نفس المدينة المعروفة الآن في تركيا باسم (استانبول)، واعتبر المؤرخون هذا التأسيس نهاية للقرون الأولى وبداية للقرون الوسطى، وامتد نفوذ البيزنطيين إلى إن شمل في أوروبا تراقيا من شبه جزيرة البلقان، وشمل الأناضول وسوريا ومصر وليبيا والمغرب، وبقيت مملكتهم إلى سنة 1453 م، وفي هذا الحين قضى عليها محمد الفاتح العثماني واعتبر دخوله لعاصمتهم مبدأ لتاريخ القرون الأخيرة.

اختبارات

وازن بين معيشة الليبيين في الدواخل أيام الرومان وبين معيشتهم أيام اليونان – ثم كم سنة استمر الحكم الروماني بليبيا؟ وما أسباب زوالهم منها؟ لقد اقترنت هذه السنين 409 و440 و543 بعد الميلاد بحوادث اشترك فيها الوندال مع غيرهم. فكيف توضح حادثة كل سنة منها بالتفصيل الوافي؟ - اخبرنا عن سبب كل مسألة أتية (أ) تساهل الرومان مع الليبيين. (ب) قدوم الوندال إلى شمال أفريقيا. (ج) مجيء الحملة البيزنطية.

تتمة البزنطيين

(29-30)

مزاياهم

ومن مزاياهم البزنطيين في تاريخ الحضارة أنهم حفظوا للعالم القوانين الرومانية الجاري بها الآن عمل المحاكم المدنية في الأمم الراقية. واعتنوا بتراث الفكر اليوناني إلى أن نقله منهم العرب زمن المأمون الخليفة العباسي. وهم الذين جعلوا المسيحية ديانة رسمية لدولتهم، وأحدثوا لكنائسها طرازا من البناء عرف باسمهم. ومن أمثلته في ليبيا جامع احمد باشا وقرجي بطرابلس، وجامع عثمان في بنغازي.

عهدهم في ليبيا

وقد اقتصر احتلال البيزنطيين لليبيا على الجهات الساحلية، وابقوا في الحصون المنتشرة على الشواطئ بعضا من الجند الليبي وتركوا في الدواخل أهالي البلاد مستقلين بكامل الحرية، وسلموا فيها جباية أموال الضرائب لمشائخ القبائل. وكان زمانهم بالنسبة لمصائب الوندال حسنا مقبولا من وجوه متعددة: (1) فمنحوا الليبيين مزاولة شئون الإدارة الحكومية بأسلوب يلائم عاداتهم. (2) واكتفوا منهم بأن اخذوا ضريبة سنوية معينة المقدار ليس فيهل ما يرهق الناس. (3) واشترطوا ان يجندوا وقت اللزوم بعضا من الأفراد القادرين على حمل السلاح. وفي هذا العمل ما يشبه الاستقلال المحلي.

عمرانهم

ومن أهم وسائلهم العمرانية ان الإمبراطور (جوستانيوس) أعاد بناء

مدينة لبدا التي خربتها الحروب والثورات السابقة خصوصا إغارة الوندال، واتخذوها محلا لإقامة (سرجيوس) قائد الجيوش البيزنطية بطرابلس، وبقوا حاكمين لليبيا نحو مائة سنة، ولم يقوموا فيها من الأعمال سوى تلك المشاريع.

زوالهم

وكانت أيامهم في الحقيقة لا تختلف في شئونها عن أيام بني جنسهم الرومان من جهة نظام الحكم والأحوال الاجتماعية، وفي سنة 743 م. تغلب العرب عليهم فأخذوا منهم ليبيا وبذلك انتهى احتلالهم إياها، ودخلت في مرحلة جديدة من تاريخها في القرون الوسطى.

خلاصة المرحلة الثانية

المقدمة

وخلاصة المرحلة السابقة من تاريخنا في القرون الأولى، انه على الرغم من جفاف الأراضي الليبية وخلوها من المعادن الثمينة وقلة سكانها، فقد منحها الله مركز جغرافيا هاما جعل الأمم القوية تتسابق على امتلاكها لتتخذها محطا تتوسع به في البلدان المجاورة لها ولتستفيد من مقدرة أبنائها الحربية، ومن غلاتها الزراعية ونتاج حيواناتها، ولذلك ففي أثناء ألف سنة تقريبا غزتها دول خمس، هي اليونان والفينيقيون والرومان والوندال والبيزنطيون.

اليونان

فاليونان فريق من الجنس الآري كانت مساكنهم في الطرف الجنوبي من شبه جزيرة البلقان ويعتبرهم المؤرخون أساتذة العالم في جميع العلوم والفنون والآداب ووصلت فتوحاتهم زمن الأسكندر المقدوني إلى الهند، وفي منتصف القرن السابع قبل الميلاد احتلوا برقة وسرعان ما بثوا فيها حضارتهم الرائعة من تشييد المدن وتعمير الأرض ونشر الثقافة الإنسانية، وبنوا سنة 640 ق. م. عاصمة لبرقة اسمها (سرينا)، وكانت في جمالها مشابهة لاثينا في كثير من وجوه الحضارة والرقي، وخرجت من العظماء الملك باتوس والفيلسوف أرستيب والعلامة (ارستوتين) ونشأت فيها حكومات على النظام الملكي والجمهوري، وحاربوا الفينيقيين بطرابلس ثم عقدوا معهم صلحا ومعاهدة بحسن الجوار، ولما استولى الفرس على مصر سنة 525 ق.

م. امتد نفوذهم إلى برقة اليونانية، ثم ضمها سنة 322 ق. م. بطليموس الأول إلى حكمه بوادي النيل وجعلها ولاية من أملاكه وسماها (بنتابولس) بمعنى المدن الخمس، وفي سنة 31 ق. م. انتزعها من البطالسة الرومان وبذلك انقضى عهد الإغريق من ليبيا بعد أن مكثوا فيها نحو خمسمائة سنة، وكان عهدهم حسنا، ولكن الليبيين لم يستفيدوا منه شيئا جديرا بالذكر إذ التزموا في الجهات البعيدة من السواحل حياتهم التي ورثوها عن أسلافهم الأولين.

الفينيقيون

والفينيقيون من الجنس السامي كالعرب، وكانت منازلهم بأرض لبنان واتخذوا عاصمتهم هنالك مدينة صور، وامتازوا عن معاصريهم بالنشاط الاقتصادي ولكي يضبطوا معاملاتهم في البيع والشراء اخترعوا أحرفا للكتابة السهلة، وعنهم أخذها العالم المتمدين، ولما راجت أعمالهم أسسوا في البلدان الكائنة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط وفي جزائره أيضا مراكز كثيرة للمبادلات التجارية، واتصلوا بليبيا لهذا الغرض فبنوا فيها برضا أهاليها كلا من لبدا واويات وصبراته المقامة على أطلالها مدينة طرابلس، وشيدوا في تونس مدينة قرطاجنة سنة 813 ق. م.، وفي أيام عزها أخذت طرابلس بالقوة العسكرية وحاولت ان تنتزع برقة من اليونان ولكنها لم تفلح فعقدت معهم صلحا بحسن الجوار، ثم جعلت في طرابلس وفزان للمواصلات ثلاثة طرق كبرى تربط كلا من فزان واغدامس ولبدا وصبراته بالموانى الساحلية، وبقابس وقرطاجنة أيضا، واحتكرت بهذه الطرق تجارة السودان وكسبت منها الأرباح الطائلة، وقد استفاد الليبيون من احتلالهم نشاط الأعمال الاقتصادية وغرس الأشجار وزراعة الخضروات وبعض الصنائع وتربية النحل وبعضا من الخضار الشرقية، ثم تحاربت هي والرومان ثلاث حروب

كبرى، منافسة على النفوذ الاستعماري في البحر الأبيض المتوسط، دامت مائة سنة، واشتهر فيها قائدان عظيمان هما هانيبال القرطاجني وسيبيو الروماني، وفي سنة 146 ق. م. تم للرومان التغلب على الفينيقيين ودخلوا عاصمتهم قرطاجنة فأزالوا وجودها بالقوة الجبارة، وبذلك انتهى ملك الفينيقيين من المغرب كله ومن ليبيا، وورث الرومان ما كان لها من بلدان ومستعمرات.

تتمة المرحلة الثانية

(32-31)

الرومان

والرومان كذلك من الجنس الآري كانوا يسكنون بأرض ايطاليا وعاصمتهم هي نفس روما الحاضرة. وفي أول أمرهم كانوا قبائل شتى ثم حوالي القرن السابع قبل الميلاد اتحدوا إلى أن صاروا أعظم حربية ذكرها التاريخ القديم.

ميزتهم

وهم واضعوا أصل القوانين الاجتماعية في العالم. وقد بلغت فتوحاتهم في عهد إمبراطورهم يوليس قيصر إلى أقصى أوروبا شمالا. واخذوا عنوة ممالك البحر الأبيض المتوسط جميعها.

ليبيا

واستولوا على جهات طرابلس الساحلية بعد زوال قرطاجنة. وأما جهاتها الجنوبية فقد استعصت عليهم وظل الحر بأرضها سجالا إلى السنة التاسعة عشرة قبل الميلاد. ففي هذا التاريخ غزا بعض قوادهم المسمى (لوجيو بالبو) اغدامس وفزان فتمكن من احتلالهما. وفي سنة 96 م. اخضعوا لحكمهم برقة. ومن أهم الحوادث التي جرت في أيامهم ثورة الجالية اليهودية سنة 115 م. وتخريبها لمدينة سرينا.

عمرانهم

ولما هدأت أحوال ليبيا الحربية انصرفوا إلى الإصلاح والتعمير. فشيدوا لبدا وصبراته واويات ومدن برقة على طراز بناؤهم المشهور. وجد الإمبراطور

(هارديان) بناء سرينا. وأقاموا في جميعها المعابد والقصور ومدرجات الألعاب وأقواس النصر.

سبتموس

ونقل الإمبراطور (سبتيموس) عاصمة الإقليم الغربي من لبدا إلى آويات وهو الذي سماها بطرابلس. والإمبراطور سبتيموس سفاروس طرابلسي صميم. وقد خص بني جنسه الليبيين بكل خير وإحسان وبذل في سبيل ترقيتهم كل مجهود عظيم. وقد فتح الرومان المدارس فانتسب إليها كثير من أبناء البلاد.

الزراعة

واعتنوا بالزراعة فاستكثروا من غرس الأشجار على اختلاف أنواعها. وشجعوا تربية المواشي وحفروا الابار المنسوبة إليهم حتى أصبحت صبراته من أكبر أسواق الغلال. فقد كانت ضريبة مدينة طرابلس وحدها من الزيت احد عشر كنتالا.

التجارة

أما التجارة فقد كانت أكثر رواجا من العهد القرطاجني. وازداد إقبال الممالك الرومانية على واردات السودان المعروفة في الزمن السابق. وألحت البلدان في طلب الزيت الليبي نظرا لتفوقه على غيره.

الحكومة

وانشاوا في ليبيا حكومة مؤلفة من موظفين رومانيين مرتبطين في أعمالهم بوال عام. وجعلوا في البلاد بلديات محلية ومشائخ للقبائل. فكانوا في الحقيقة هم أول من علم الليبيين نظام الإدارة للمصالح.

زوالهم

وفي أوائل القرن الرابع بعد الميلاد ضعف أمر الرومان بسبب الفتن وتنازع أمرائهم على الحكم. فغزتهم قبائل متبربرة جاءت إليهم من شرق اوروبا تسمى الهون. فدخل رجالها روما وأكثروا فيها الفساد.

الوندال

ثم اتجه منها فرع يقال له الوندال نحو اسبانيا فاستولى عليها. وجاء لشمال أفريقيا ليساعد القائد (بنوفاشيو) ضد جيوش الإمبراطورة (بلادسيا) ثم تغلبوا على الجميع واستولوا على المغرب وليبيا. وارتكبوا فيها من الفظائع ما تقشعر له الأبدان وخربوا لبدا. وقد أسسوا في شمال أفريقيا إمبراطورية عاصمتها (قرطاجنة) وتولى أمرها ستة ملوك اشهرهم (قنسريخ) وفي عهد ملكهم (قليمار) هب المغرب كله من المحيط الأطلسي إلى ليبيا يقاوم هذا الفاتح الذنيم بثورة عامة أطارت صوابه وفرقت جمعه. ثم ان ملك البيزنطيين (جوستانيوس) بصفته رومانيا. ويطمح في استرجاع المغرب اغتنم فرصة انشغال الوندال بحروب سكانه فأرسل إليه اسطولا وجيشا عظيمين مع قائد محنك اسمه (بلزار) فانتصر عليهم بسهولة واخذ زعيمهم (قليمار) اسيرا ورجع به إلى ملكه (جوستانيوس) سنة 543 م. وبهذا سقط الوندال وزال حكمهم البغيض من ليبيا.

البيزنطيون

والبيزنطيون فريق من الرومان انشقوا عن إخوانهم وجعلوا لهم مملكة سميت بروما الشرقية عاصمتها القسطنطينية المعروفة اليوم باستانبول. ولما تكاثرت غزوات البرابرة على روما الأصلية وزال نفوذها. صار البيزنطيون أرباب السلطان في كل من الأناضول وسوريا ومصر وشمال أفريقيا. وهكذا

دخلت ليبيا أيضا في حكمهم على الوصف المتقدم بيانه. ومن أهم أعمالهم فيها أنهم جددوا بناء لبدا. وتركوا الأهالي على شيء من الاستقلال. وظلت بعد انقراض الوندال تابعة لهم إلى أ. فاجأهم الفتح العربي الإسلامي وأزالهم عنها سنة 643 م..

مزاياهم

ومن مزاياهم أنهم حفظوا القوانين الرومانية الجاري بها العمل الان في محاكم العالم المتمدين. وأعتنوا بتراث الفكر اليوناني ومنهم انتقل إلى العرب زمن الخليفة المامون. وتأسيس مملكتهم سنة 313 م. اعتبره المؤرخون مبدأ لتاريخ القرون الوسطى وزوالها سنة 453 اعتبروه مبدأ لتاريخ القرون الأخيرة.

ملاحظات

وزيادة على الملخص المتقدم. فأننا نلاحظ في المرحلة الثانية ما يأتي من الأمور:

يرجع الفضل في ترقية البلاد الساحلية وعمرانها إلى دول ثلاث هي اليونان والفينيقيون والرومان ولهؤلاء النصي الأوفر فقد حاولت هذه الدولة بالنشاط الوافر ان تستفيد من أحوال البلاد الطبيعية بما فيه الخير للجميع.

وإذا أضفنا إليها الوندال فقد كانت ديانة الدول الأربع وثنية تعبد آلهة خيالية متعددة لا وجود لها في الواقع. أما البيزنطيون فهم من أتباع المسيحية. وقد تأثر بعض الليبيين بديانة جميع الفاتحين.

ولكنهم من جهة الأخلاق والحياة الاجتماعية أكثرهم بقى متمسكا بعاداته المتوارثة ولم يختلطوا بالأجانب الا لضرورة المعيشة.

ومن أجمل العهود الماضية التي ارتفعت فيها منزلة الليبيين إلى مصاف السادة الحكام كانت زمن الرومان وأسوأها عليهم كانت أيام الوندال.

غير ان الفينيقيين كانوا أميل الدول الغابرة للتخلق بعادات وطباع الأهالي. وكتبوا بخطها وكونوا من ذلك لغة جديدة عرفت بالديموتيقية وانتشرت في ليبيا نفسها وفي المغرب. ومهدت السبيل أمام أختها العربية الشقيقة. فلما جاء الفتح الإسلامي سرعان ما انطلقت الأفواه بالكلام العربي.

اختبارات عامة.

ما الوجوه المقبولة التي تحصل عليها الليبيون في العهد البيزنطي؟ وما مزاياهم التاريخية؟ وفي أية سنة زال حكمهم وكم سنة دام؟ وعلى من خرجوا من ليبيا؟

بين أين كانت مواطن الدول السابقة؟

وكيف كانت تعامل الليبيين.

وما الحوادث الحربية التي أدت لزوالها من ليبيا.

اختر مما ياتي كل اسمين اشتركا في حادثة تاريخية واحدة ثم اذكر الحادثة بالتفصيل الذي علمته من الدروس الماضية: بلزار – بلغمون – شيشنق – لبدا – هرديان - افريقش – قليماق – منفتاح – هنيبال – عليشة ديدون – افلاطون – قليمار – الزراعة – اغدامس – الدلتا – الوندال – سرينا – البربر – محيط الأرض – الليبيون - زمامه – قرطاجنة – برقة.

كم سنة استمر الحكم الليبي بالدلتا وما تاريخ احتلالهم لها وخروجهم منها؟ وكيف كان أول غزوهم لمصر وفي عهد من من الفراعنة حصل هذا وما تاريخه ايضا؟

ثم ما صلة سبتيموس بكل من ليبيا ولبدا ومدينة طرابلس وبالمغرب؟

وما الذي استفاده الليبيون من الرومان والفينيقيين فيما يختص بالزراعة والعمران والثقافة والرقي الاجتماعي؟ وما تواريخ احتلالهم وزوالهم ومدة حكمهم وأي الدولتين تأثرت باللغة الليبية.

قلنا أن أهمية ليبيا تنحصر في موقعها الجغرافي فما هي نقاط تلك الأهمية؟ وعلى الخصوص ما يتعلق بالناحية الحربية والاقتصادية.

*** نقص ***

ومصر وفلسطين وسوريا أكثرهم بقى محتفظا بديانة أجداده الأولين، وتفشت بينهم كذلك المظالم والفوضى والأفعال الرذيلة.

ديانة العرب

ولم يكن العرب في الحجاز ونجد بأحسن أحوالا من أولئك، بل كانوا هم أيضا يعبدون تماثيل على هيئة الإنسان تسمى أصناما، وتملقوا إليها بالضحايا من الحيوان والبشر، وأباحوا للقوي سلب الضعيف بالغزو، وردم البنات في القبور وأباحوا شرب الخمور وفعل الفجور ولما تكاثرت في الدنيا السيئات وقلت الحسنات، ترقب الصالحون منهم ظهور نبي جديد.

محمد (صلى الله عليه وسلم)

فبعث الله لإخراجهم من الضلالة إلى الهدى سيدنا محمدا، صلى الله عليه وسلم، وهو ابن عبد الله، وأمه آمنة بنت وهب، وجده عبد المطلب بن هاشم، وكانت لأسرته السيادة على قريش، وهي أعلى القبائل العربية منزلة، ويتصل نسبه إلى قصي من ذرية إبراهيم الخليل باني الكعبة المشرفة، وقد ولد بمكة المكرمة عام الفيل الموافق سنة 571 م.

طفولته

وأمضى طفولته يتيما، فتربى في البادية عند مرضعة اسمها حليمة السعدية، وسافر للشام مرتين، في الأولى صحب عمه أبا طالب ليتدرب على المعيشة، وفي الثانية ذهب يتاجر بأموال للسيدة خديجة بنت خويلد إحدى قريباته.

زواجه

ثم تزوجها فولدت له ثلاثة أطفال وأربع بنات، واشتهر منذ صغره بالأخلاق الكاملة، فلقبه قريش بالصادق الأمين.

رسالته

وفي ســن الأربعين من عمره النزيه، جاءته الرســالة مــن قبل الله، وانزل عليه القرآن، وأمر بان يدعو الناس إلى الدين القيم وهو الإسلام.

هجرته

ولمــا عارضته في نشــر الدين العرب وقريش، هاجــر بأصحابه إلى المدينة، فحماه أهلها ولقبوا بالأنصار.

انتصاره

ثم جرت بين المسلمين والمشركين حروب طاحنة سميت بالغزوات لحضور النبــي فيها، وانتهت كلها بانتصار المســلمين، وأخيرا آمن العرب بالإســلام ودخلوا في دين الله أفواجا.

وفاته

وبعــد أن بلغ النبي للنــاس جميع ما انزل عليه من ربــه توفي صلى الله عليــه وســلم بالمدينة، في يوم الاثنين الثاني عشــر من شــهر ربيع الأول من السنة العاشرة للهجرة وعمره ثلاث وستون سنة.

خلفاؤه

فتولــى بعــده أمر المســلمين خلفاء أربعــة لقبوا بالراشــدين وهم على الترتيب الأتي سيدنا أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بــن أبي طالب، وكلهم رضي الله عنهم جميعا تربطهم بالنبي صلة القرابة في المصاهرة والنسب.

أبو بكر

فأبو بكر تولى الخلافة في السنة العاشرة من الهجرة وهو أول من أسلم

مــن الرجال، ووالد عائشــة أم المؤمنين، ومن أعماله أنه أرســل جيوشــا غزت العراق وســوريا، واشــتهر من قادتها خالد بن الوليد المتغلــب على الروم في معركة اليرموك بالشــام، وأمر زيد بن ثابت فجمــع القرآن من صدور الحفاظ، وقد توفي سنة 13 هــ، بالمدينة وعمره ثلاث وستون سنة ودفن رضي الله عنه بجانب النبي في حجرة عائشة.

اختبارات

(1) وازن بين ليبيا وبلاد العرب فيما يأتي: (أ) الموقع وطبيعة الأرض (ب) المناخ ثم الديانة قبل ظهور الإسلام، (ج) وصف المعيشة والحياة الاجتماعية، (د) حضارة برقة زمن اليونان وحضارة اليمن قبل انهيار الســد وفي الأراضي الخصبة، (هــ) طريقة الري الروماني والري في مأرب.

(2) ثــم مــا الفرع الــذي ينتمي إليــه كل من القحطانيــين والحجازيين ومــا أشــهر أولاد كهلان الذي كان من ذريته دول ثــلاث؟ وما موطن هذه الدول وعواصمها.

(3) حدثنا عما يأتي: (أ) حالة الأمم قبل ظهور النبي، (ب) رسالته وهجرته وانتصاراته، (ج) خلفائه وارتباطهم به، (د) ميزات أبي بكر وفتوحاته.

الخلفاء الراشدون

(36 – 35)

عمر

وتولى بعد أبي بكر سيدنا عمر بوصية مكتوبة من أبي بكر، وأيدها المسلمون بالمبايعة، وكان في الجاهلية سفيرا لقريش عند قبائل العرب، واعتز الدين بإسلامه كثيرا، وهو والد السيدة حفصة أم المؤمنين، وامتاز بالعدل والزهد.

فتوحاته

وامتدت فتوحاته في زمانه إلى العراق وسوريا ومصر وليبيا، واشتهر من قادته سعد بن أبي وقاص المتغلب على الفرس في معركة القادسية، وعمرو بن العاص فاتح مصر وليبيا.

وفاته

وفي آخر أيامه اغتاله عبد فارس ابيض اللون اسمه أبو لولوه، كان مملوكا للمغيرة بن شعبة، فمات رضي الله عنه سنة 23 هجرية وعمره ثلاث وستون سنة ودفن بجانب أبي بكر.

عثمان

فانتخب المسلمون مكانه سيدنا عثمان بن عفان، ومن ميزاته أنه كان في عهد النبي من كتاب الوحي، وتزوج بابنة النبي رقية صم بعد موتها اخذ أختها أم كلثوم، فلقب لحصوله على هذا الشرف بزي النورين، وكان غنيا فأنفق أمواله كلها في سبيل الدين، وقد غلب عليه الحياء وحسن النية.

فتوحاته

وكثرت في أيامه الفتوحات فوصل المسلمون إلى أطراف الهند شرقا وإلى نهاية إفريقيا الشمالية غربا، وتأسس في وقاه بمساعي سيدنا معاوية أمير الشام أول أسطول إسلامي، تغلب على الروم في وقعة الصواري البحرية قرب الإسكندرية، وفي زمانه تشيع الناس لآل البيت أسرة النبي، وظهرت الأفكار الداعية للخروج عن طاعة الخلفاء، وكتب القرآن في المصاحف، وأرسلت منه نسخ إلى جميع البلدان ثم اتهمه ثوار من الكوفة ومصر بأنه حصر وظائف الخلافة الإسلامية في أقاربه من بني أمية.

وفاته

فقتلوه في داره وهو يتلو القرآن سنة 35 هـ. وعمره خمس وثمانون سنة.

علي

فانتقلت الخلافة لسيدنا علي ابن ابي طالب، ومن ميزاته انه ابن عم النبي وقد تربى في بيته، وهو زوج ابنة النبي فاطمة الزهراء، ذريته

وجاءه منها الحسن والحسين، وذريتها أصل للشرف الديني في جميع أنحاء العالم الإسلامي، واشتهر بالفصاحة والزهد والشجاعة.

الاختلافات

وكثرت في زمانه الاختلافات الدينية، بسبب الثورة التي قتل فيها سيدنا عثمان وعلى الخصوص من هذه الخلافات ما كان بينه وبين معاوية بن أبي سفيان المتقدم ذكره.

وفاته

ثم اغتال سيدنا عليا رجل من الخوارج اسمه عبد الرحمن بن ملحم، فتوفي كرم الله وجهه سنة 40 هـ.

معاوية

فتولى بعده الخلافة ابنه الحسن ثم تنازل عنها لمعاوية حقنا لدماء المسلمين، وبذلك انتقلت الخلافة لبني أمية.

تلك خلاصة موجزة عن نشأة الإسلام وخلفاء النبي ولنستعد بعدها لمعرفة الحوادث التي أدت إلى وصول الفتح الإسلامي المبارك إلى ليبيا.

ليبيا في عهد الخلافة

الزحف

ففي سنة واحد وعشرين هجرية، بعد أن فتح عمرو بن العاص مصر، جهز بأمر الخليفة عمر بن الخطاب جيشا كبيرا زحف به على ليبيا، وكان هذا الجيش مؤلفا من الجنود المشاة، والفرسان راكبي الخيول، وفيه الإبل تحمل السلاح والأغذية والماء، وأمتعة أخرى من لوازم الحرب والسفر الطويل.

الوصول

وبعد سير شاق في صحار مجدبة خالية من العمران، ليس فيها غير الرمال تذروها الرياح، وصلوا متعبين إلى الجبل الأخضر، ففاجأتهم غاباته الفيحاء، وعيونه الجارية بالماء العذب، وظهرت لأعينهم آثار المدن الإغريقية الزاهرة، ورأوا فيها من المباني الرائعة الشيء الذي لم يخطر لهم على بال.

الإعجاب

وقد ظفرت تلك المناظر بإعجاب العرب لدرجة إن قائدهم الأعلى سيدنا عمرو بن العاص قال (لولا أموالي بالحجاز ما اخترت مكانا للإقامة إلا الجبل الأخضر).

البرقويون

ولما بلغ أهالي برقة مجيء العرب لغزو البلاد، وسمعوا بانتصاراتهم العظيمة على الفرس والرومان البيزنطيين، رأوا انه لا قدرة لهم على حربهم، واتفقوا على مصالحتهم حفظا لأنفسهم وأملاكهم من التلف والخراب.

وفدهم

فانتدبوا وفدا قابل سيدنا عمرو، وتفاوضوا معه بأمر التسليم، فقبل منهم ذلك على أصول الجهاد الإسلامي المتلخصة في ثلاثة أمور: أما إتباع الدين الإسلامي أو دفع الجزية أو الحرب فقبلوا الجزية وهي ضريبة سنوية يدفعها أهالي البلاد المحتلة، إلى بيت مال المسلمين مقابل المحافظة على حريتهم الدينية والاجتماعية، وسلامة أملاكهم وأرواحهم.

مقدارها

وتم الاتفاق على أن يكون مقدار الجزية ثلاث عشر ألف دينار من الذهب واشترط البرقاويون أن يبيعوا من أولادهم من أرادوا بيعه إيفاء لمبلغ الجزية في حالة عدم مقدرتهم المالية فأجاب سيدنا عمرو بالموافقة على هذا الشرط.

الصلح

وبذلك وقع الصلح بين الطرفين سنة 22 هـ ثم ترك في برقة حامية وموظفين من المسلمين واتجه زاحفا على الغرب يريد طرابلس.

طرابلس

ولما وصل إليها نزل بعساكره بناحيتها الشرقية في الأرض الممتدة من المحلة التي سميت فيها بعد على اسمه فقيل العمروس إلى المكان الذي فيه ضريح سيدي الشعاب.

مناعتها

وقد وجد طرابلس مدينة منيعة يحيط بها سور عظيم من جميع الجهات، وفي أعلاه الأبراج القوية تحصنت داخلها الجنود البيزنطية متهيئة للدفاع، ويساعدها في البحر أسطول كبير رست قطعه في الميناء استعدادا

للطوارئ، وبعضها كان يغدو ويروح بالإمدادات ونقل الجنود، وعلى الرغم من مناعتها وما لحق العرب من المتاعب في غزواتهم لأراض تبعد عن مصر مئات من الأميال.

المحاولة

فان عمرا حاول فتحها بالهجوم المتكرر العنيف مدة شهر كامل، ولكنه لم ينل من ذلك شيئا مفيدا، وفي أثناء ذلك لكي لا يضيع الوقت عبثا.

ودان

أرسل لودان حملة تحت قيادة (بسر بن ارطأة) ففتحها في نفس العام الذي قدموا فيه لطرابلس.

قصة الفتح المدلجي

وقد ظل عمرو بن العاص على تلك الحال إلى أن اتفق في احد الأيام القائظة، إن بعضا من جنوده عددهم سبعة أنفار يتقدمهم شخص من قبيلة بني مدلج العربية خرجوا من المعسكر ليصطادوا السمك غرب طرابلس، وفي أثناء رجوعهم إلى المعسكر، ألجأهم الحر الشديد للاستظلال من الشمس مختفين تحت الأسوار المفصولة عن البحر، وكان محلهم مقابلا للسفن البيزنطية الراسية بعيدة عنهم.

الملاحظة

وبينما هم يلاحظون ضخامة الأسوار ومتانة بنيانها، اهتدوا فيها إلى طريق سري كشف عنه البحر بطريق المد والجزر، يؤدي بالذي يسلكه إلى جوف المدينة ففرحوا بهذا الاكتشاف مزيد الفرح.

الفرصة

ووجدوه فرصة لم يأت الزمان بمثلها، فتشاوروا فيما يجب عمله أمام هذا الاكتشاف، وأخيرا قرروا التضحية بدخول المدينة عسى أن يمن الله عليهم بفتحها، ونادوا لمساعدتهم اقرب الذين صادفوهم من الجنود الإسلامية وأطلعوهم على مقصدهم، فابتهجوا أيضا بالفكرة واستعدوا معهم لتنفيذها.

التسرب

ولما ثبتوا عزمهم على هذا الرأي استلوا سيوفهم، وتسربوا من الطريق السري واحد بعد واحد، حتى أصبحوا في داخل المدينة على مقربة من الكنيسة.

الجهاد

وهنا تصارخوا مشجعين أنفسهم بألفاظ الجهاد، وهي (الله اكبر، الله اكبر، الله اكبر) ثم صاروا يفتكون بمن صادفهم فتك الأسود الضارية بفريستها الغافلة وما كاد الأهالي والروم يشاهدونهم رؤى العين وهم يضربون الرقاب، وما كاد الآخرون يسمعون صراخهم المتعالي في وسط مدينتهم الحصينة حتى تملكهم جميعا الفزع والذهول، وظنوا إن عمرو بن العاص دخل مدينتهم من حيث لا يشعرون.

تمارين للتثبيت

(1) ما هي المزايا التي أهلت كلا من عمر وعثمان للخلافة؟ وما أشهر فتوحاتهما وقادتهما العظام؟

(2) ومتى جمع القرآن من الصدور وما اسم القائم بجمعه ومتى جمع في المصاحف؟ ولم كان نزوله بلغة مضر؟

(3) صف لنا ما يأتي: (أ) زحف العرب على برقة. (ب) تأثرهم بمناظرها وما قاله عمرو عن الجبل الأخضر.

(4) ثم لم صالح البرقاويون العرب؟ وما هي قواعد الجهاد الإسلامي الثلاث؟ وما مزية القاعدة التي فضلها البرقاويون؟ وما أهم شروط الصلح الذي عقدوه مع عمرو.

(5) ثم أين نزل عمرو حين وصل لمدينة طرابلس؟ وما حالة البيزنطيين وقتئذ من الناحية الحربية؟ ولم تأخر عن فتح المدينة وكم بقى ينتظر؟ وماذا عمل أثناء هذا الانتظار.

(6) صف لنا حوادث المدلجي منذ ما خرج ليصطاد مع رفاقه إلى وصول الضوضاء لآذان العرب.

ليبيا في عهد الخلفاء

(38 – 37)

الحرب

وفي لحظات قليلة اضطر السكان للفرار من أمامهم ملتجئين إلى المنازل وتبادر جند الأبراج إلى القتال والدفاع، وتجاري بعضهم يفتح الأبواب ليهرب العزل من السلاح إلى سفن النجاة، وكثر العويل والبكاء، وازداد الهرج وتعالت الأصوات، حتى وصلت الضوضاء إلى آذان الجيش الإسلامي في الشعاب ونواحيه وتأكد العرب أن فدائيين منهم هجموا بإحدى الوسائل على الروم هجمة صادقة ناجحة.

هجوم العرب

فخفوا لنجدتهم مسرعين يتقدمهم البطل العظيم سيدنا عمرو بن العاص وأحاطوا بمدينة طرابلس إحاطة الهالة بالقمر، فتسلق فريق الأسوار، وفريق منهم هجم من الأبواب، واشتبكوا مع الحامية البيزنطية في حرب عنيفة قاسية، كان فيها كل واحد من الفريقين يريد النصر الحاسم لنفسه مهما كلف الثمن.

اليوم العسير

ولقد كان ذلك اليوم على البيزنطيين يوما عسيرا، فعلى الرغم من بسالتهم في الدفاع عن مدينة طرابلس، لم يفلت منهم غير عدد قليل التجأ إلى السفن ناجيا بنفسه من الموت، وأما الباقي فقد ذهب قتيلا أو مجروحا أو أسيرا، ولما يئس الفارون إلى الأسطول من التغلب على العرب أبحروا به وتوغلوا في البحر، ودخل عمرو وجنوده المدينة سنة 23 هـ. ظافرين بالنصر شاكرين الله بدعاء التكبير.

صبراته

وفي الليلة الأولى من هذا الفتح هيأ عمرو جيشا من الفرسان بقيادة بطل من المجاهدين، وأمره بان يسرع لفتح صبراته المعروفة بزواغة، وكانت هي أيضا محاطة بالأسوار العالية والحصون القوية، ولكن أهلها حين سمعوا يعجز العرب عن فتح مدينة طرابلس، حسبوا أنهم لا يقدرون على غلبة الروم لذلك اطمأنوا قليلا، وقبل أن يصلهم النبأ بدخول العرب لمدينة طرابلس فتحوا في الصباح المبكر من احد الأيام أبواب البلدة وصاروا يزاولون في ضواحيها بعضا من أعمال الحياة، وسرحوا ماشيتهم لترعى الكلأ خوفا عليها من الهلاك، وبينما كانوا في صباح ذلك اليوم على هذه الحال، باغتهم فرسان عمرو، فلقوا أبواب صبراته مفتحة، وسكانها غير متأهبين للحرب، واندفعوا بالهجوم الخاطف إلى وسط البلدة، وبعد معركة فيها حامية كافية.

الغنائم

وعادوا بالغنائم إلى عمرو في طرابلس، ونظام الحرب الإسلامي يقضي بان تجعل الغنائم خمسة أسهم، واحد يذهب لخزينة الدولة، والأربعة الباقية توزع على أفراد الجيش الذي اكتسبها في أثناء الحرب، ويقضي بان يكون نصيب الفرسان أكثر من المشاة.

نفوسة

وبعد صبراته ذهب العرب إلى جبل نفوسة المعروف بالجبل الغربي فنازلوا سكانه إلى أن دوخوهم، وفتحوا فيه مدينة (شروس) البعيدة عن مدينة طرابلس بمسافة خمسة أيام، وكانت في ذلك الحين من أهم المدن في مناطق طرابلس، ويتبعها نحو ثلاثمائة قرية آهلة بالسكان، ويليها في الأهمية

مدينـــة جادو، كما فتحوا أيضـــا مدينة لبدا، ومراكز أخـــرى كثيرة في جهات متفرقة.

أعمال عمرو

ثـــم إن عمرو هدم جميع الأســـوار الحربيـــة الموجودة فـــي طرابلس ليحرم البيزنطيـــين في المســـتقبل مـــن الانتفاع بهـــا وتصبح مكشـــوفة فلا يقدر أهاليها على العصيان، ومن أول ما قام به من الأعمال المدنية انه بنا في محل جامع احمد باشا مسجدا لإقامة شعائر الدين، ورتب شئون الحكومة حسب النظم الإسلامية المأخوذة من القرآن والسنة النبوية.

رغبته

ولما أتم فتح ليبيا كلها، استأذن أمير المؤمنين الخليفة عمر بن الخطاب، في متابعـــة الزحف إلى المغرب، ليفتح الأجزاء الباقية من شـــمال أفريقيا، ولكن سيدنا عمر حرصا منه على أرواح المسلمين، من أن يلحق بها الهلاك في أراض بعيـــدة عن مراكز الإمدادات العربية في الحجاز، لـــم يوافقه على تلك الرغبة أبدا، فاكتفى عمرو بما ناله من ليبيا من الفوز المبين، ثم ترك فيها جنودا وافرة بقيـــادة أمراء من المجاهدين الكبار، ورجع لولايته بمصر، وأضيف إليه النظر في شئون ليبيا أيضا.

ترجمة عمرو في الجاهلية

وســـيدنا عمرو رضـــي الله عنه، كان من عظماء الجاهلية والإســـلام معا، فحين هاجر المســـلمون إلى الحبشـــة، تخيرته قريش رئيسا على وفد أرسلته للنجاشـــي، راجية منه أن يطرد المســـلمين الذين خرجوا عن وثنية العرب، ولما أدى وظيفتـــه غيـــر ناجح في مســـعاه، رجع لمكة وصار يحارب مع المشـــركين النبي وأتباعه.

إسلامه

إلى أن جاءت السنة السابعة من الهجرة، ففي هذا التاريخ دخل الإسلام إلى قلبـــه، فامـــن بالوحدانية والرســـالة، وصار من كبـــار الصحابة المخلصين واشـــترك في كثير من الغزوات ضد المشـــركين، وجاهد في سبيل الله الجهاد الأوفى.

قيادته وحروبه

ولمـــا جاءت خلافة ســـيدنا أبي بكـــر عينه قائدا لمحاربة العـــرب المرتدين في جهة البحرين المجاورة للخليج الفارسي والمحيط الهندي، فأخضعهم إخضاعا تاما، ثم أرسله قائدا لإحدى الجيوش الأربعة التي وجهها لقتال الروم بسوريا، وخصه بإقليم فلســـطين، فكان من الشجاعة في المرتبة العليا، وقد اشترك مع خالد بن الوليد في معركة اليرموك الفاصلة.

فتوحاته

ولمـــا تولى ســـيدنا عمر ثبته على ولاية فلســـطين وقيادة جيوشـــها، وقد حاصر عمرو بيت المقدس، حتى اجبر أهاليها على التسليم، واشترطوا عليه أن يحضر الخليفة بنفسه، ليدخل معه المدينة، نظرا لما اشتهر به من العدل والوفـــاء بالعهـــد، فكان لهـــم ما أرادوا إذ قدم ســـيدنا عمر ودخل المســـلمون بحضـــوره بيـــت المقدس ثـــم زحف بأمـــر الخليفة عمـــر على مصـــر ففتحها ســـنة 21 هـ، وتقدم لبرقة فصالحه أهلها ســـنة 22 هـــ، وجاء إلى طرابلس فاكتسحها من جميع الجهات، وأجرى فيها كثيرا من الإصلاحات، منها بناية أول مسجد إسلامي في مدينة طرابلس.

معاملته

وعامل أهاليها بالرأفة والحلم، ومنحهم الحرية الكاملة، وكتب لهم بذلك

وثيقة رسمية جاء فيها (لأهل انطابلس عهد موفى لهم به) وقد أسرت محبته قلوبهم، وكان لهم القدوة الحسنة في مبادئ الإسلام الفاضلة ثم رجع لوادي النيل.

أخرته

وظل واليا على مصر إلى أن تولى سيدنا عثمان، فعزله من منصبه هذا وعين مكانه عبد الله بن أبي سرح أخ عثمان من الرضاع، وذهب لفلسطين فاشتغل بمصالحه الخاصة، وبعد قتل عثمان انضم إلى معاوية ضد سيدنا علي، وأناب معاوية سيدنا عمرا ليتكلم عن أهل الشام في مسألة التحكيم، وتمكن بدهائه من التأثير على أبي موسى الأشعري، فخلع صاحبه علي بن أبي طالب وأثبت عمرو الخلافة لمعاوية ولذلك جازاه معاوية بان أرجعه واليا على مصر للمرة الثانية، وبقى فيها إلى أن توفي سنة 42 هـ. وقد بني في مصر قرب مدينة القاهرة جامعا كبيرا يحمل اسمه، وكان قبل تأسيس الأزهر محطا للعلماء وطلاب الثقافة الإسلامية، ولا يزال ملوك مصر يودون فيه آخر جمعة من رمضان.

غزوة العبادلة

قلنا فيما تقدم إن سيدنا عمر بن الخطاب لم يسمح لعمرو بن العاص، بان يتقدم لفتح المغرب، فلما آلت الخلافة لعثمان بن عفان، عزل سنة 26 عمرو بن العاص من ولاية مصر وليبيا، وأقام عليهما بدلا منه عبد الله بن أبي سرح، ثم كلفه بغزو ما بقى من شمال إفريقيا فنفذ الأمر وجاء سنة 27 هـ. إلى ليبيا يصحبه جيش كبير، فيه مجاهدون عظام من كبار الصحابة وأولادهم، ومن هؤلاء الرجال عقبة بن نافع، وهو ابن خالة عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير وقد أتى من الحجاز قائدا لنجدة عسكرية ومنهم عبد

الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن العباس، ولذلك سمى هذا الجيش العبادلة.

أسئلة واختبارات

في أية سنة صالحت برقة وما مقدار جزيتها؟ وما أهم البلدان التي فتحها عمرو بطرابلس سنة 23 هـ.

أذكر لنا سبب كل حادثة مما يأتي:

إرسال عمرو فرسانه ليلا لصبراته.

إهمال سكانها قفل الأبواب.

هدم عمرو لأسوار المدينة.

عدم زحفه لفتح المغرب.

ثم حاضرنا من ترجمة عمرو عن هذه النقاط: إسلامه – قيادته وحروبه – فتوحاته – معاملته لليبيين – أواخر حياته – أثاره العمرانية بمدينة طرابلس ومصر.

ما صلة كل من سنة 26 و 27 هـ وعبد الله بن أبي السرح وغزوة العبادلة بحوادث شمال إفريقيا؟

اشرح نظام الغنائم.

ليبيا في عهد الخلفاء

(40 – 39)

في طرابلس

ومر عبد الله بن أبي سرح مع جيشه من برقة إلى طرابلس سراعا، فوجودها راضية بالحكم الإسلامي والأمن والراحة سائدان في ربوعها، فلم يأتوا هنا بأي عمل حربي بل استجموا فيها النشاط واخذوا كفايتهم من الزاد والضروريات الأخرى.

تونس

ثم زحفوا نحو الغرب يريدون تونس، وكان يحكمها في ذلك الوقت باسم البيزنطيين ملك يدعى (جرجير) خاضع لإمبراطور القسطنطينية، وجاءته الأخبار باتجاه العرب لمحاربته فصار يستعد لقتالهم بجمع القوات وإعداد الاسلحة وإقامة الحصون للدفاع وهيأ مائة وعشرين ألفا من الجنود.

معركة سبيطلة

ولم ينتظر قدوم العرب كثيرا حتى وصلت جيوشهم بقيادة ابن أبي سرح إلى أراضي مدينة سبيطلة الكائنة في الجنوب الغربي من تونس والتي لا تزال إطلالها باقية للان، وتقابل الخصمان بمعركة يشيب من هولها الطفل الرضيع، ولا غرو فالعرب والرومان كانوا من اقرب الناس تشابها في أوصاف الشجاعة والإقدام، وكلا الطرفين كان يبني على نتيجة هذه المعركة الأمل الوحيد في الاستيلاء على شمال إفريقيا، ويرى أن الموت في ساحات الوغى خير له من أن يموت جبانا مخذولا، ولكن حظ البيزنطيين عثر بهم في سبيطلة كما عثر بهم من قبل في معركة اليرموك بالشام.

انتصار العرب

فبعدد أربعة وعشرين ساعة من نشوب القتال رفع العرب رايات النصر المبين، وولى الروم إلى الجهات الساحلية مغلوبين، وبقي أكثرهم موتى وقتل عبد الله ابن الزبير ملكهم (جرجير) نفسه، ودخلوا إلى سبيطلة بالنجاح الباهر، ولما رأى أهالي المغرب انكسار البيزنطيين وفناء قوتهم صالحوا العرب على الجزية.

أسبابه

ومن أهم الأسباب التي مكنت العرب خلال أربعة سنوات من الاستيلاء على ليبيا والمغرب هي:

أولا

ضعف الدولة البيزنطية في منتصف القرن السابع الميلادي الناتج عن الحروب الداخلية والخارجية وانتشار الفوضى الاجتماعية بين أهالي ممالكها، وانتقال سوريا ومصر من يدها إلى يد العرب.

ثانيا

إن أهالي شمال إفريقيا وجدوا العرب مشابهين لهم في كثير من الأخلاق والعادات فحسبوهم كأنهم من أبناء عمومتهم لا غرباء عنهم في الدم والطباع.

إيضاح

ولإيضاح هذا السبب نقول كلاهما الف حياة البادية من الإقامة في الخيام ورعي الماشية ولبس أوبارها وشرب ألبانها، والاكتفاء بالقوت اليسير من تمر وأنواع الحبوب الغذائية، ولباسهم فضفاض متسع وأراضيهم كذلك

اتفقت في الصحارى والجفاف والجبال والسهول، وفيها النخيل والإبل والغزلان والخيل، وتربوا على الحرية والاستقلال لا يتقيدون بشيء سوى النظام القبلي، الحريص على الأنساب ونصرة الأخ القريب من دمهم حتى ولكن هو الظالم، وكان أكثرهم يؤمن بالوثنية، والنساء عندهم جميعا كن سافرات الوجوه، ولا تنسى أيضا إن الفينيقيين مهدوا السبيل أمام اللغة العربية، ولعلك متذكر إن المؤرخين المسلمين يقولون بان البربر أصلهم من حمير، وبناء على هذا الرأي يكونون هم والعرب من جنس واحد.

ثالثا

إن العرب في حروبهم كانوا ينفذون أوامر دينهم بالسلوك الشخصي الحميد، فهو يحرم عليهم الغدر والخيانة والنهب والسلب، ويحرم عليهم قطع المغروسات وإتلاف الزرع ولا يسمح لأي جندي بان يعتدي على النساء والشيوخ والأطفال أو الرجال العزل من السلاح، فلما تأكد الليبيون بأنهم جاءوا لنشر دينهم واتصفوا بالأخلاق الحسنة ولم يدمروا عمرانا ولم يبتزوا أموالا احترمهم الناس جميعا، وأثنى على سلوكهم الكبير والصغير.

رابعا

ثم إن قانون الجهاد نفسه لم يترك لأية امة مجالا للتظلم من العرب باغتصاب الحريات والقضاء على استقلال الشعوب، فإذا اختارت هي واحدة من ثلاث الإسلام أو الجزية أو الحرب، ثم فضلت الحرب وغلبت، فأنها تكون كالجانية على نفسها إذ لو فكرت في ضعفها وأحبت التمسك بدينها مثلا لاختارت عن الحرب الجزية وحفظت بلادها من الخراب وأموالها من الضياع.

خامسا

شجاعة العرب العنصرية، وتحريم الدين الإسلامي على جيشهم البالغ أثنى عشر ألفا الرجوع إلى الوراء مهما كان جيش العدو كبيرا، ولذلك تغلبوا

في موقعة سبيطلة بعشرين ألفا على مائة وعشرين ألفا من الروم، ولهذه الأسباب الخمس وجد العرب بفتح ليبيا أيام الخلفاء الراشدين كل سهولة وترحيب.

رجوع عبد الله

ثم إن عبد الله بن أبي سرح بعد أن أقام في شمال إفريقيا سنة وثلاثة أشهر وترك في كل جهة حامية وقائدا لحفظ الأمن، رجع هو وفريق من المجاهدين إلى مصر مقر ولايته.

امتداد الثورات

واستمرت أحوال ليبيا على ما سبق بيانه إلى أن كانت سنة 35 هـ. ففي هذا الحين جرت في الحجاز حوادث ثورية عنيفة امتد تأثيرها إلى جميع البقاع الإسلامية ولا سيما هذه البلاد وبقية بلدان المغرب كما سيأتي، إذ قتل سيدنا عثمان بن عفان ثم قتل أيضا سيدنا علي سنة 40 هـ.، فخلفه ابنه الحسن وبعد سنة تنازل عن الخلافة لسيدنا معاوية حقنا لدماء المسلمين.

ليبيا في العهد الأموي

وفي عام 41 هـ. نشأت الدولة الأموية، وها نحن نلخص لك موجز تاريخها ما له ارتباط وثيق بحوادث ليبيا التي هي جزء هام من شمال إفريقيا.

الأمويون

والأمويون هم ذرية أمية الجد الثاني لمعاوية نشأت سنة 41 هـ. وانتهت سنة 132 هـ.

معاوية

وكان عدد خلفائها أربعة عشر خليفة، أشهرهم بالذكر معاوية ابن أبي سفيان وهو أول خلفائها ومؤسس دولتهم، واتخذ عاصمته مدينة دمشق

وكان زمن عمر بن الخطاب أميرا على سوريا وشغل هذا المنصب نحو عشرين سـنة، وفي عهد النبي كان من كتاب الوحي البارزين، ثم توفي سـنة 60 هـ. فحل مكانه ابنه الذي اخذ له والده من المسلمين ولاية العهد قبل أن يموت.

يزيد

وقد اشـتهر تاريخ يزيد بسـيئات ثلاث، حادثة فتل الحسين بن علي، ورمي الكعبة بالمنجنيق واستباحة المدينة لجيوشه، وتوفي سنة 64 هـ.

عبد الملك

وفي سـنة 65 تولـى الخلافة احد أقربـاء معاوية المسـمى عبد الملك بن مروان، وهو المثبت لأركان الدولة الأموية، وقد ساعده في القيام بأعباء الحكم الحجاج بن يوسف الثقفي، ومن أعمال عبد الملك في المغرب انه بني في تونس معملا لصناعة السفن، ثم توفي سنة 86.

الوليد

فتولـى بعده ابنـه الوليد بن عبد الملك، وهو الكوكـب المضيء في تاريخ بني أمية، وقد وصلت الفتوحات في زمانه من الصين إلى أراضي فرنسـا، ولما مات سنة 96 هـ.

سليمان

اخـذ مكانه أخوه سـليمان بن عبد الملك، وبعد سـنتين وثمانية أشـهر توفي.

عمر

وعلـى الرغم من وجـود إخوته فقد أوصى بالخلافة لابن عمه عمر بن عبد العزيز، فتولاها سـنة 9 وكان اعدل بني أمية وأشـهرهم بالزهد والورع، وقد

أرسـل لليبيا والمغرب عشـرة فقهاء ليعلموا أهلها قواعد الإسلام، ثم توفي سنة 101 هـ. فخلفه يزيد بن عبد الملك وتوفي سنة 105 هـ.

هشام

فتولى في نفس السـنة أخوه هشـام بـن عبد الملك، وفـي زمانه تقوت الدعوة العباسية وبقى خليفة عشرين سنة ثم مات سنة 125هـ.

مروان

وفـي سـنة 127 آلـت إلـى مروان بـن محمد بـن مـروان الأول وهو آخر خلفائهم، وفي أيامه قامت الثورة العباسية كما سيأتي، فقاومها بشجاعة الأبطال، واخيرا قتل سنة 132 هـ. وبذلك انقرضت الدولة الأموية في المشرق ونشأت الدولة العباسية.

العصر الأموي

وكانـت أيام بني أميـة عصر الإسـلام الذهبي إذ وصلـت الفتوحات من الشـرق الأقصى إلى أواسط أوروبا الغربية وأسسـوا أسطولا بلغت وحداته أكثر من الف وسـبعمائة سـفينة ونظموا الطرق وأقاموا الملاجئ للضعفاء والمستشفيات للمرضى، وحاربوا الجهالة بنشر التعليم في كل بقعة ظللها علم خلافتهم الخفاق.

ثوران المغرب

ومـع كل هـذا فان ليبيـا والمغرب كانـت في أكثـر أيام دولتهـم موقدا مسـتعرا للفتن والثورات والخروج عن الطاعة والانقياد كلما وجدت للعصيان قوة وللهياج سـبيلا، ولقد ثارت في العهد الأموي ثورات عامة كادت تزيل بها حكم العرب من شمال إفريقيا كله.

أسبابه

والسـر في هذا إن سـكانه فطـروا على محبة الحريـة وكراهية الخضوع للأجانب مهما كان هؤلاء منصفين في احتلالهم أو قريبين إليهم في الأخلاق والعادات. ولهذه الأسـباب. فمنذ اسـتيلاء الأم السابقة إلى العصور الأخيرة كانـوا إذا تغلـب عليهم فاتح غريب يظهـرون له المودة والرضـاء ويخفون في قلوبهـم بغضهم إيـاه. ومتى جاءتهم الفرص الملائمـة للانتقام. من ضعف في قوته أو انشـغاله عنهم بحروب في جهات بعيدة أو من سـفر قائد جبار يخشون طوته قاموا منادين بالثورة المسلحة. ووقفوا إلى جانب احد زعمائهم الأبطال يفتكون بجنده فتكا حاسما.

سعيهم للاستقلال

ويسـعون للاحتفاظ باسـتقلالهم غير مبالين بالموت ولا مهتمين لخراب البلاد ولا لضياع الأرواح والأموال. ولو كان لهم في ذلك الحين من وحدة الكلمة ما للعرب ومن القوة ما كان عند الرومان لربما سبقوا الأسكندر إلى الهند أو هانيبـال إلى روما. لذلـك حين ترى في العهد الأموي والذي يأتي بعده إن ليبيا وجاراتها المغربيات كانت موقدا مستعرا للعصيان الدموي فلا تستغربن منها تلك الأحوال. بل لاحظ دائما حرصها على الاستقلال وكراهيتها للأجانب عن بلادها وإذا عرف السبب بطل العجب.

اختبارات

كيف تفر تغلب عشـرين ألفا من العرب في موقعة سـبيطلة عل مائة الف من الروم والبربر؟

وما أهم الأسـباب التي مكنتهم في مدة أربع سـنوات من السـيطرة على شمال إفريقيا كله؟

قلنا إن أم شـمال إفريقيا وجدت العرب مشـابهين لها في كثير من الأخلاق

والعادات. فوضح هذا القول كما شرحناه في هذا الموضوع.

اذكر ما لاحظناه من تاريخ: معاوية – يزيد – عبد الملك – الوليد.

ثـم متى نشـأت الدولة الأمويـة ومتى انتهـت وكم كان عـدد خلفائها وما ميزتها في التاريخ الإسلامي؟

لقـد تتابعت الثـورات في ليبيا والمغرب بعد قتل سـيدنا علي حتى أصبحت تهـدد زوال الحكـم العربي. فمـا هو السـبب الموجب لتكررهـا في مختلف المناسبات؟

ليبيا في عهد الأمويين

(41 – 42)

ولاية عمرو الثانية

ففـي ولاية عمرو بن العاص على مصر للمـرة الثانية أيام خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة 41 هـ. صار من اختصاصه أيضا النظر في شئون ليبيا، إذ كانت إلى ذلك الزمن تابعة لولاية مصر، ولما رأى عمرو إن المسافة بين مصر وليبيا شاسـعة وكثيرا ما تحدث فيها أمور توجب في حلها السـرعة، ولكي يطمئن على نظام إدارتها.

ولاية عقبة

عين لها من طرفه القائد الشـهير ابن خالته عقبة بن نافع ليتصرف في أمورها المسـتعجلة حسـب رأيه الخاص وبلا انتظار الجواب مـدة طويلة، وقد وصل أمر التعيين لعقبة سنة 41 هـ. وهو مقيم في برقة.

حروبه بليبيا

وكانت بعض قبائلها تمردت على العرب وارتدت عن الإسلام، وفي مقدمتها قبيلتـا زناتة ولواته، واتصـل نبأ تمردهم إلى الإقليم الجنوبـي فثار أهله أيضا تأييدا لإخوانهم، أو رغبة في الاستقلال بنواحيهم، ولكن عقبة لم يقف أمام هـذه الحوادث مكتوف اليدين، بل أسـرع هو وجنوده فقاتـل زناته ولواته قتالا شـديدا لم يترك فيه لثورتهم أقل فرصة للازديـاد والنجاح، حتى أذل رجالها فخمدوا بالرجوع إلى السـلم والوفـاء بالعهد، ثم ذهب إلى فزان ففتح فيها ودان واغدامس وأدب أهلها بما يستحقون من الخيانة ونقض الكلمة.

مقره

ورجـع إلى برقة واتخذها مقرا لأعمالـه، وكانت هي وزويله أيام عقبة من أهم المعسكرات للجيش الإسلامي في شمال إفريقيا، وصار يتنقل بين هذين المعسـكرين المرة بعد المرة، وأما طرابلس فكانـت هادئة لم تقم بأي تهويش، وفي سنة 45 هـ.

كسيلة

انتهز المغاربة والليبيون انشـقاق أهالي الحجاز والشام بما حصل بين علي ومعاويـة مـن الخصام الديني فنبـذوا طاعة العرب وثـاروا عليهم تحت قيادة زعيم مغربي اسـمه كسـيلة وأمدهم إمبراطور بيزنطة قسطنطين الثاني بأسطول كبير مع ثلاثين ألفا من الجنود، ونظرا لخطورة الحوادث أرسل الخليفة معاوية للقضاء على العصاة احد أبطال جيوشه المسمى معاوية ابن حديج وجعله واليا على مصر وأفريقيا المراد بها ليبيا وتونس، ولما وصل الأراضي الثوار في جهات تونس اظهر في محاربة كسيلة والروم شجاعة فائقة جديرة بكل ثناء وإعجاب، وسـرعان ما تمكن من التغلب عليهم وفتح بنزرت الكائنة غرب تونس على شـاطئ البحر، وطرد الروم فرحلوا بسـفنهم، ولم يجرأوا بعدها على غزو شمال إفريقيا طيلة أيام معاوية، وانقطعت آمالهم من استردادها، ولما سمع أهالي طرابلس من سكان جبل نفوسة بانتصارات ابن حديج رجعوا إلى الهدوء والتزام الراحة.

رويفع

ويحدثنـا التاريخ انـه ممن تولى إمارة ليبيا سـنة 56 هـ. لقضاء مصالح الآهلـين رجل ذو مقام دينـي جليل يقال له رويفع بن ثابت، ولكنه لم يقم من الإعمال بأشـياء تجاوزت حدود صلاحيته المدنية، وقد مـات في برقة ودفن في الجبل الأخضر.

ولاية عقبة

وفي سنة 50 هـ. فصل سيدنا معاوية ن أبي سفيان معاوية بن حديج عن ولاية افريقية وعين لها عقبة بن نافع، وجعل إدارتها مستقلة ومرتبطة بمركز الخلافة في دمشق.

مساعيه

فكان من أولى مساعي عقبة الخالدة انه اخذ ينشر بين أهالي تونس وليبيا مبادئ الإسلام ويحبب إليهم بأسلوب الوعظ الجميل التهذب بأخلاقه الفاضلة، وكان بعض من أفراد قبائل لواته وهوارة ونفوسة متمسكا بالنصرانية واليهودية فأعطاهم الحرية الكاملة في إتباع دينهم وضمن لهم الأمان على أرواحهم وأموالهم.

إسلام الشبان

وتودد إليهم كثيرا حتى اسلم شبانهم عن رضا واختيار، وألفوا منهم جيشا قويا انضم إلى الجند الإسلامي واخذ يقاتل معه أبناء جنسهم الذين لم يدخل الإيمان بالتوحيد إلى قلوبهم أو كفروا بعد الإسلام.

بناء القيروان

وأما ثاني أعماله التي لا تزال موجودة حتى الآن، فانه لما رأى اتساع أراضي ولايته وحاجته إلى مكان متوسط ليسهل به القيام بواجباته تخير في تونس بقعة جميلة المناظر وأسس فيها مدينة عظيمة على طراز جديد ممزوج بالطراز العربي والطراز الإغريقي واخذ لها كثيرا من بقايا سرينا ببرقة، واسماها مدينة القيروان، ثم جعلها سنة 67 هـ. عاصمة لافريقية (ليبيا وتونس).

عزله

وبقى يسوسها بالإدارة الصالحة والحزم الشديد إلى أن اتفق إن سيدنا معاوية كان قبل وفاته عين لولاية مصر أميرا يدعى (مسلمة بن مخلد) وأضاف إليه ولاية افريقية، فعزل مسلمة عقبة بن نافع برضا معاوية.

أبو المهاجر

وأرسل مكانه مولى لمعاوية بن أبي سفيان اسمه أبو المهاجر دينار، ففرح أعداء عقبة من الثوار لعزله فرحا عظيما واستخفوا بالوالي الجديد.

الثورة

فهبوا بزعامة قائدهم (كسيلة) يقاتلون العرب أينما وجدوهم واندلعت نيران الثورة إلى ليبيا، وبلغت هذه الحوادث لدمشق التي كان خليفتها سنة 60 يزيد بن معاوية، فخاف ضياع شمال إفريقيا أن لم يسرع بالقضاء عليها والتخلص من زعيمها (كسيلة)، وتأكد هو وأعوانه من رجال الخلافة الأموية انه لا يقدر على إخماد تلك الثورة العامة سوى بطل الإسلام في المغرب عقبة بن نافع الفهري وهو لقبه.

ولاية عقبة الثانية

فأرجعوه واليا على افريقية للمرة الثانية، وقبل عقبة أمر الإرجاع ولو كان شخص أخر غير عقبة لرفض هذا التعيين غاضبا من عزله الأول بلا ذنب جناه، ولأثر الراحة على ذلك الجهاد المضني معتذرا بسوء صحته أو بشيء أخر، ولكن عقبة كان مخلصا لدينه ولخليفته ويرى خدمتها مبدلة عن كل لذة في الحياة وراحة.

القتال

فلبى الأمر واخذ جنوده المفتونين بمحبته. وتقدم بهم يحاب أولئك العصاة بشجاعة الأبطال الواثقين من جدارتهم بانتزاع النصر حتى ولو كان بين مخالب الأسود وأنياب الأفاعي. ودارت بين الطرفين في جهات تونس والجزائر حروب هوجاء. وأيام نهارها دماء وليلها فناء.

الانتصار

حتى زحزحوا الثوار عن مواقفهم بالحسام البتار والفتك الحاسم فهربوا ناجين بأنفسهم غير ملتفتين إلى ما تركوا وراءهم من أسلحة وخيول وخيرات وأموال.

الاستيلاء

ولحقهم المسلمون وعقبة وهم يضربون رقابهم ويفتحون القرى والبلدان إلى أن وصلوا في غزواتهم الظافرة إلى الجزائر فاستولوا عليها ومضوا إلى المغرب الأقصى فاختلوا منه إقليم السوس وطنجة عند مضيق جبل طارق. ولما وصل عقبة إلى شواطئ البحر المحيط الأطلسي قال ليشهد الله انه لم تبق أمامي بلاد فافتحها سوى هذا البحر. واسر (كسيلة) زعيم الثوار الأكبر. وهزم قومه شر هزيمة.

استشهاد عقبة

وفي أثناء رجوع المسلمين من المغرب الأقصى إلى تونس. تأخر عقبة في الطريق عن مرافقة الجيش العربي وكانت تصحب سيدنا عقبة حامية قليلة من الجند فلما رآه المنضمون إلى الثوار أنه يسير بعيدا من قوته العسكرية الهائلة. تنادوا على أخوانهم وهجموا عليه مع رجاله هجمة جاءته على

غفلة ودافع فيها عن نفسه وعن أخوانه من كبار الصحابة حتى كسر سيفه. ثم اغتالوه فوقع شهيدا في ساحات المجد والفخار. وانقضوا على رفاقه انقضاض الصاعقة حتى أفنوهم جميعا.

نبأ وفاته

وما كاد النبأ بوفاته يصل للجيش ويعم الأقطار الإسلامية. حتى بكته الأعين بدموع الأم التي فقدت اعز أبنائها وأحب شيء إلى نفسها. فلا غرو فعقبة بن نافع الفهري صحابي جليل وعربي أصيل. وكان في البطولة من الطراز الأول وماثل في كثير من الأوصاف لخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص بل هو فاتح المغرب طله. والناشر فيه لواء الإسلام الخفاق. وهكذا تموت أفذاذ التاريخ الحربي العظام. في ميدان الوغى أو في مصارعة الأهوال ولقد كان عمرو بن العاص وعقبة بن نافع. من أعظم ولاة العرب وقادتهم الذين خدموا ليبيا بالعمل المجيد. وابقوا فيها ذكريات لا تمحى.

اختبارات

ما هي المناسبة الأولى التي جاء فيها ذكر عقبة بن نافع؟ وما صلته العائلية بعمرو؟ ولأي غرض اسند إليه ولاية ليبيا؟ وأين كان مقره فيها؟ وما أهم أعماله الحربية في إقليمي برقة وفزان؟

ثم أصبح أميرا لافريقية مرتين والمراد الآن أن توضح لنا: تاريخ الإمارتين – ومدتهما – وفي عهد أي من الخلفاء كانتا. ما قام به في كل منهما من المجهودات الحربية والمساعي الإسلامية والتعمير الإنساني.

ما جرى له في المرة الثانية من حوادث الجهاد منذ ما وصل إقليم السوس الأقصى إلى ما قاله عند المحيط ,إلى استشهاده.

تأثير وفاته في العالم الإسلامي.

ثم لم بني عقبة القيروان؟ ولم ذكرنا أسماء رويفع وأبي المهاجر وابن حديج؟ وكيف ترتبط ما ذكرناه سابقا عن الثورات بعد مقتل علي بثورة كسيلة؟

ليبيا في العهد الاموي

(44 – 43)

زهير

ثم تدارك الخليفة عبد الملك بن مروان هذه الفاجعة، فاجعة استشهاد عقبة بن نافع فعين مسرعا مكانه احد القادة الذين كانوا في معية عقبة وشاركه في جميع الحروب التي قام بها ضد كسيلة، وهو زهير بن قيس، وكان الغرض من تعيينه أمرين أولا لينتقم من المغاربة جزاء نكسهم للعهود وثانيا ليأخذ بثأر عقبة وليحفظ هيبة العرب وسمعتهم في بلاد غير وفية بكلمتها، ولا تخضع إلا والسيف يحز رقابها وكان زهير يومئذ موجودا في برقة.

اخذ الثار

فلما بلغه أمر التعيين، وتلقى مددا كبيرا من المجاهدين البواسل، تقدم جميعهم وزحفوا سنة 67 هـ. على المغرب وما زالوا يجدون السير حتى لقي زهير غريمه (كسيلة) زعيم الثوار في نواحي القيروان ومعه فرق هائلة من المرتدين عن الإسلام، فتلاحم الجيشان بالقتال المغيظ وهجم العرب طالبين الانتقام هجوم من بذل روحه في سبيل الشرف والكرامة، وثبت المغاربة الثائرون بالدفاع القوي، وكانوا هم أيضا فرسانا مغاوير، لذلك عظم بينهما الحرب واشتد على الطرفين النضال العسير، ولكن كسيلة بلى بخصم عنيد يقود جندا عربيا متفوقا عليه بالشجاعة والخبرة بأساليب المعارك الطاحنة، ورأى الثوار من زهير ما ذكرهم بأيام سلفه عقبة بن نافع، فتمايلوا من ضرب السيوف الإسلامية، تمائل الأغصان بالرياح العاتية، وامتلأت قلوبهم بالرعب فولوا هاربين، وتركوا خلفهم زعيمهم (كسيلة) مقتولا بسيوف العرب

الحادة، وأعاد زهير نفس الطريقة التي اتخذها عقبة من قبل، فجرى لاحقا إياهم بالقتال المستمر، إلى أن وصل في زحفه نهاية المغرب، ثم رجع بعساكره إلى القيروان ورايات الظفر ترفرف على رؤوسهم كأجنحة العقاب الطائر، وقد نتج عن هذا الانتصار الذي لم يكن متوقعا، إن الثوار بعد أن فنيت رجالهم الأشداء، سلموا أمورهم لزهير رغما عن أنوفهم، واستولى عليهم الخوف من العرب فلزم كل واحد بيته ذليلا، أما زهير فأنه بعد أن أدى مهمته على أحسن زجه وحفظ للإسلام شرفه عاليا، ترك افريقية لتعب لحق به في جسمه من كثرة الحروب، وأناب عنه شخصا عربيا كفأ، ثم قصد نصر ليطلب بعد ذلك الراحة بجانب أسرته، ولكن القدر لم يسمح له بهذه الأمنية، فلما وصل برقة فاجأته قوة بحرية للبيزنطيين فنشبت بينهم معركة كبيرة، انتهت باستشهاد زهير، ودفن بمدينة برقة.

الثورة الثانية

وما كاد خبر وفاته يذاع في البلاد المغربية، حتى نفض أهاليها غبار الكسل وأعلنوا الثورة للمرة الثالثة، ويمتاز هذا العصيان عن سابقه، بالاستعداد الحربي وكثرة الرجال واتفاق الرأي وتوحيد القيادة.

الكاهنة

فقد ظهرت امرأة اسمها (داهيا) ولقبها الكاهنة اتصفت بالدهاء العجيب والبسالة النادرة حتى في الرجال الشجعان، فجعلوها قائدة لثورتهم.

اكتساحهم

والتفوا من حولها زاحفين على البلدان التي هي في أيدي العرب، إلى أن اجلوهم عن أكثرها، واخذوا منهم قرى الجزائر وتونس وفتحوا القيروان واستولوا على قسم من ليبيا الغربية.

حسان

فأرسل لهم الخليفة عبد الملك بن مروان، قائدا آخر شبيها في مقدرته الحربية بزهير بن قيس، اسمه حسان بن النعمان، وأمده بقوة عظيمة.

انتصاره

وتلاقى هو وجموع الكاهنة بأراضي تونس، وحاربهم بنفس الشدة التي مرت بك في أيام عقبة وزهير، حتى تغلب عليهم وطردهم من القيروان سنة 79 هـ..

فشله

واتجه غربا ليقضي على الكاهنة ورجالها، ولحقها في مكان يقال له (وادي مسكيانة) ولكنه بعد أن حاربهم مدة من الزمن، انتصروا واستولوا منه على جميع الأراضي التي فقدوها سابقا، وألزموه التقهقر إلى ليبيا الغربية.

توقفه

ولما وصل مصراته، جاءته رسالة من الخليفة تأمره بالبقاء مكانه، وتفيده أنه سيأتيه مدد كبير لتقوية جيشه، فتوقف السير في مصراته، وبنى فيها منازل له ولمن كان معه تعرف اليوم بأرض الحساسين، ثم جاءته النجدة التي وعد بها.

زحفه

وزحف بلا إبطاء يريد الثوار وزعيمتهم، وفي أثناء تلك المدة مدة تقهقر حسان وتوقفه في مصراته، ظنت الكاهنة إن العرب لم يأتوا لشمال إفريقيا إلا رغبة منهم في السلب والحصول على خيراته.

تخريب الكاهنة

ولكي تحرمهم من كل شيء أتلفت المزروعات النامية، وأحرقت الغابات ودمرت المدن العامرة، ولكنها كانت في ظنها خاطئة فالعرب جاءوا لينشروا دينهم، ولم يأتوا للأمور التي توهمتها وبسبب تلك الأفعال السيئة، بغضها جميع الذين كانوا يويدونها، وكانوا يترقبون الفرص ليتخلصوا من حكمها الجائر.

موت الكاهنة

ولما سمعوا إن المسلمين قادمون لمحاربتها بادر أكثرهم إلى حسان وأعلن له التوبة والندم، فقبل خضوعهم وفرت الكاهنة هي وأتباعها إلى الجهات النائية، فلحقهم حسان واشتبك معهم في معركة عنيفة حتى انهزموا مكسورين وقتلت زعيمتهم الكاهنة، وبموتها رجعت المغاربة إلى الإسلام، ولكي يظهروا إخلاصهم للدين ورضاءهم بالحكم العربي، ألفوا منهم فرقة مجاهدة عدد رجالها اثنا عشر ألفا، وقد كان من بين هؤلاء الابن الأكبر للكاهنة داهيا نفسها، وجعله حسان أميرا على قبيلته المسماة (جراوة) وبعد رجوع شمال إفريقيا للسكينة والراحة، أقام حسان في القيروان، فنظم مكاتب الحكومة وعين الموظفين وولاة الأقاليم، ثم ترك المغرب وسافر لدمشق عاصمة الخلافة الأموية ليمضي ما بقى من حياته بين أهله وعشيرته.

موسى

وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، أرسل مكان حسان رجلا ذا رأي نافذ وأمال واسعة، وقد فاقت أعماله الجيدة جميع الذين سبقوه، وهو موسى بن نصير، وكان مولى لعبد العزيز بن مروان عم الخليفة الوليد، فلما وصل القيروان، مكث فيها وقتا يسيرا ثم ذهب يحارب الذين اغتنموا خلو البلاد من

قائد حازم فأعادوا سـيرتهم الأولى من العصيان وإحداث الفتن. وما زال ينكل بهم حتى أجبرهم على الطاعة وانصرف بعدها إلى الإصلاح.

إصلاحاته

فجعل أراضي ولايته الواسـعة ثلاثة أقسام كبرى المغرب الأدنى ويشمل ولايـة افريقية المـراد بها ليبيا وتونس. والمغرب الأوسـط وهو جهـات الجزائر. والمغـرب الأقصى ويشـمل جميع الأراضـي المنتهية غربا بالمحيط الأطلسـي. وأرسـل لكل جهة ما تحتاج إليه من المستخدمين. فشغلوا وظائف الضرائب والقضاء والشـرطة ووظائف البريد والبلديات والتعليم. وشغلوا أمثالها من الأمـور المتعلقة بمصالح الناس والدولة. وكان موسـى يطـوف عليهم دائما ليرى بنفسـه سـير الإعمال. وينظر في رغبات الأهالي لكي لا يظلمهم في حقوقهم احد.

الانتعاش

وقد امن بهذه النظم راحة السـكان. فنشـطوا يعمرون أملاكهم التي حولتهـا ثورة الكاهنة من حدائق غناء ومن مـدن زاهرة إلى بقاع جدباء وقرى خربة. فكثر فيها الزرع والغرس. وتزايد البنيان والترميم. فانتعشـت التجارة وعـاد إليها كثير مـن الرواج المعروف أيـام الرومان. وكان من أهم وسـائطها قوافل الإبل والبغال والسفن البحرية المتنقلة بين المشرق والمغرب.

التجنيد

ثم إن موسـى حين تأكـد من إيمان المغاربة بالإسـلام دعاهم للدخول في الجنديـة. فاقبلوا عليها إقبالا عظيما. ولكي يظهر لهم إن الدين لا يفرق بين الناس في الرتب والمناصب. الف جيشـا كبيرا فيه سـبعة وعشرون ألفا من العرب واثنا عشـرا ألفا من أهالي شـمال إفريقيا. واسـلم قيادة هذا الجيش

لفتـى من المغاربة عالي الهمة اسـمه (طارق بن زيـاد) وعينه حاكما لمدينة طنجة وجعلها مركزا لقيادة جيشه.

اختبارات

(1) لأي غرض حربي عين زهير بن قيس؟ وكيف تشرح توفقه في تحقيق ذلك الغـرض؟ وما هي نتائـج انتصاراته بعد أن قتل كسـيلة؟ وكيف كان مصير زهير الأخير؟

(2) لقـد أعلـن المغرب الثورة للمـرة الثالثة – فبم امتازت هـذه الثورة عن سـابقاتها؟ ومـن تولى قيادتهم بعد كسـيلة؟ وما الذي اسـتولى عليه في هذه المرة؟

(3) اذكر لنا أسباب ما يأتي:

(ا) إقامة حسان بمصراته ثم رجوعه إلى المغرب.

(ب) تخريب الكاهنة للعمران.

(ت) انضمام المغاربة لحسان ومصير الكاهنة.

(ج) المناسبة التي ذكرنا فيها جراوة.

(4) من هو موسـى بن نصير وما هي إصلاحاته الإدارية والعسـكرية وكيف انتعشت في زمانه الأحوال؟

ليبيا في عهد الأمويين

(46 – 45)

ليبيا

وقد اختار موسى لليبيا واليا قديرا، هو (أبو بكر بن عيسى القيسي)، ونالت من عنايتهما الإصلاحية ما نالته بلدان الشمال الإفريقي، فقد منح موسى لحكومتها الاستقلال الإداري، وأجرى فيها نهضة مباركة في جميع أمور حياتها فنمت في أيامه الفلاحة والزراعة، وراجت الأعمال الاقتصادية وعلى الخصوص منها التجارة، وأكثر من تأسيس الجوامع والمساجد، وأقام فيها المكاتب القرآنية والدروس العلمية يتلقى بها الناس مبادئ الدين وقواعد اللغة والمعارف الإسلامية السائدة في وقتهم.

فتوحاته

ثم فكر موسى بان يوسع ممالك الخلافة الأموية فأمر قائده طارق بن زياد بان يغزو اسبانيا، فزحف عليها بجنوده سنة 92 هـ. وتغلب فيها على بقايا الوندال في معركة شريش الفاصلة، ثم لحقه موسى بجنوده آخرين، وتمم هما الاثنان فتحها بسرعة فائقة . وقد أراد موسى الاستمرار في الزحف على ايطاليا ومملكة بيزنطية حتى يرجع إلى عاصمة الخلافة من الشرق فلم يأذن له الخليفة الوليد بن عبد الملك بذلك، فاكتفى بما وصل إليه من اسبانيا، وقد حرف العرب نطقها الوندالي بلفظة الأندلس.

سفره

وبعد هذا الفتح جاءته رسالة من الوليد يطلب فيها قدومه لدمشق، وكان لموسى أبناء احدهما اسمه عبد الله، فجعله واليا على شمال إفريقيا، والثاني اسمه عبد العزيز، تركه حاكما لبلاد الأندلس، ثم سافر هو طارق إلى

الشام تلبية للأمر المذكور، ومعه الغنائم الوافرة التي اكتسبها المسلمون من غزو اسبانيا.

الجزاء السيئ

وبعد ثلاثة أيام من وصولهما توفي الخليفة الوليد. وتولى مكانه أخوه سليمان بن عبد الملك، وبدلا من أن يجازى هذين البطلين على أعمالهما الخالدة بما يستحقان من إحسان وحفاوة عظيمة أهان موسى بن نصير، وقابله بكل إساءة ونكران للمعروف، وقيل لان موسى كان أيام عبد الملك فضل أن تكون الخلافة للوليد أخي سليمان، وقيل لان موسى لم يحتفظ بالغنائم حتى يموت الوليد فيتسلمها سليمان، بل أعطاها للوليد وهو على فراش الموت فكان أكثرها من نصيب ذرية الوليد.

مصيره

ثم إن سليمان نفى موسى ابن نصير للحجاز وبقى هناك حتى مات فقيرا ذليلا، وبعد مدة قليلة من وفاته قتل ابنه في الأندلس أناس مجهولون، وعزل الخليفة سليمان ابنه الأخر عن شمال إفريقيا، وهكذا كان مصير احد القادة العظام في التاريخ الإسلامي ويعتبر المؤرخون نهاية موسى بن نصير وطارق بن زياد الذي لم تعرف أحواله بعد ذهابه إلى دمشق، من أسوأ ما في تاريخ سليمان بن عبد الملك، ومما لا شك فيه إن زمن موسى بن نصير الذي دام تسع سنوات، هو من أحسن العهود الإسلامية التي مرت على ليبيا والمغرب والأندلس.

بعده

وفي مدة ثلاثين سنة بعد ذهاب موسى إلى الشام، شغل وظيفة الوالي العام لشمال إفريقيا والأندلس نحو أثنى عشر أميرا، ومنهم من تولى هذا

المنصب مرتين وهو محمد بن يزيد القرشي، وكان مركز الولاية دائما القيروان، ونفهـم من كثرة تعيين هـؤلاء الولاة وعزلهم أنهم لـم يكونوا من الكفاءة على جانب عظيم، وان أحوال ليبيا والمغرب كانت في زمانهم مضطربة جدا، وان نفوذ بني أمية أخذ في الانحطاط شيئا فشيئا وعلى تلك التغييرات.

القيسي

فان حاكم ليبيا أبا بكر القيسـي، بقى مكانـه طيلة تلك المدة وهي من سـنة 96 هـ. إلى سـنة 129 هـ. وهذا البقاء كذلك نفهم منه أيضا إن أبا بكر كان واليا محبوبا أو هو سياسي بارع، ولكنه لكل بداية نهاية.

الاستياء من الأمويين

ففـي أواخر سـنة 129 هـ. ابتـدأت بعض الجهات الغربيـة من طرابلس تظهر سخطها على الحكم الأموي، لأنه يخالف المذهب الأباضي الذي اتبعته، وسـلب زعماء القبائل في جبل نفوسـة ما كان لهم أيـام الرومان من نفوذ وامتيـازات ولان الأمويين كانوا يفضلون أبناء جنسـهم العربي في الوظائف الكبرى عن غيرهم.

ثورة عبد الجبار

فقام رجل من قبيلة بني هوارة اسـمه عبد الجبار، ويساعده شخص آخر يقـال له الحارث، فاعلنا الثـورة وتبعهما ألوف من الأهالـي وأبطلوا الاعتراف بحكومـة ليبيا الأموية ولما انتشـر عصيانهـم في البلاد ولم يجـد أبو بكر القيسـي القوة الكافية للقضاء عليهم خرج إليهم بنفسه يريد التفاهم معهم في الأسباب الداعية للثورة.

قتله

فلم يستمعوا له بل قتله عبد الجبار وزحف على مدينة طرابلس فاستولى عليهـا، وما كادت هذه الأخبار السـيئة تصل للوالي العـام في القيروان وهو (عبـد الرحمن بن حبيـب) حفيد عقبة بن نافع الفهري، حتى جهز جيشـا تولـى قيادته بنفسـه وزحف به علـى منطقة أولئك الثـوار، فحاربهم حربا ذكرتهـم ببطولة جده العظيم، وسـرعان ما قهرهم وظفـر بزعيمهم عبد الجبار فقتله، ثم دخل مدينة طرابلس عاصمة ليبيا سنة 131 منتصرا وبنى سورها المتهدم.

ولاية حبيب

وجعـل عليهـا واليا اسـمه (حبيب بن عبـد الرحمن)، وفـي نفس هذا العام اسـتقل عبد الرحمن ابن حبيب بممالك ولايته الشاملة لليبيا والمغرب والأندلس، ووافقه الخليفة الأموي مروان بن محمد على ذلك الاستقلال، وكان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في الشـرق، إذ ظهرت في زمانه الدولة العباسية في العراق فقاومها سنة 132 ببسالة نادرة، حتى قتل في طريقه وهو هارب إلى مصر، وبذلك انقرضت الخلافة الأموية من المشرق، ونشأت على أنقاضها الدولة العباسية.

ليبيا في العهد العباسي

العباسيون

والعباسيون هم أبناء العباس بن عبد المطلب، واقرب الناس بعد ذرية علي إلى النبي لأنهم أولاد عمه، فلما تنازل الحسن لمعاوية عن الخلافة، لم يعجبهم هذا التنازل، وكانوا يتمنونه لأسرتهم ولم يقطعوا الأمل من الخلافة لذلك بقوا طيلة العهد الأموي ينتظرون الأوقات المناسبة للوصول إليها.

زعيمهم

فلماء جاء عهد الوليد بن عبد الملك، نظم الحفيد الثاني للعباس واسمه إبراهيم بن محمد حركة سرية بارعة، والغاية منها القضاء على بني أمية، وحصر الخلافة في الأسرة الهاشمية التي هم من أعظم أفرادها، ولكي يضمنوا لأنفسهم النجاح، استعانوا في تنفيذ أغراضهم برجال أكفاء، من أشهرهم فتى يقال له أبو مسلم الخراساني وأرسلوهم في أنحاء البلدان يروجون أفكارهم بطرق خفية، متظاهرين بالتجارة والسعي وراء المعيشة.

الثورة

وفي سنة 132 نجحت الحركة وقبل الناس أفكارهم، فقامت على بني أمية ثورة عامة، ابتدأت بخراسان من ارض فارس ثم عمت بقية الجهات حتى قضت على الخلافة الأموية في بالعراق، واستولت مسرعة على الشام والحجاز ومصر واليمن وغيرهما من الممالك الكائنة شرق الدجلة، ويعتبر زمانها من أجمل العصور الإسلامية في رقي العلوم العربية وإبعاث الحضارة والفنون الإسلامية، وقد دام حكمها خمسمائة وأربعا وعشرين سنة، وكان

عدد خلفائها سبعة وثلاثين خليفة وأولهم أبو العباس السفاح وهو مؤسس دولتهم، واخو زعيمهم إبراهيم بن محمد الذي نظم الحركة السرية، وقتل من الأمويين خلقا كثيرا فلقب من اجل هذا بالسفاح.

المنصور

ولما توفي السفاح سنة 136 هـ، تولى الأمر أخوه أبو جعفر المنصور، ولكي يخلو له الجو وحده قتل أبا مسلم الخراساني، وسجن عمه عبد الله القائد العام لجيوش ثورتهم، وبنى مدينة بغداد وسماها دار السلام، وشجع رجالات العلم عل الإكثار من تأليف الكتب.

الرشيد

وفي سنة 170 هـ، آلت الخلافة إلى هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، ويعتبر أعظم خليفة في العصر العباسي، أكثر من الغزو في بلاد الروم (الأناضول) واشتهرت معه بالذاكرة أسرة البرامكة، التي كانت بيدها أمور الحكومة، وعلى الخصوص وزيره جعفر البرمكي وكانت بغداد في زمن الرشيد منارة الدنيا في العلوم والحضارة ثم توفي سنة 194 هـ.

اختبارات

(1) تكلم عما يأتي:

(أ) أعمال موسى في ليبيا وفتوحاته

(ب) أسباب ذهابه لدمشق وأسباب غضب الخليفة سليمان.

(ج) مدة ولايته ومصيره الأخير هو وولديه.

(2) ثم ما الذي نفهمه من كثرة الولاة بعد موسى وما أسباب ثورة عبد الجبار وعلام انتهت وما صلة سنة 132 بحوادث هذا الدرس.

(3) من هم العباسيون وكيف نجحوا في تأسيس خلافتهم.

ليبيا في العهد العباسي

(48 – 47)

المأمون

وبعد الرشـــيد تولى الخلافة سنة 198 هـ. ابنه المأمون وقد كان مشابها لوالده هارون الرشـــيد في الشجاعة والكرم. واشتغل بالعلم فاستحضر من القســـطنطينية كتب اليونان وترجمها إلى العربية. وازدادت بغداد في أيامه رقيـا وعمرانـا ومن رجاله العظـام هرثمة بن أعين. وقـد كان هرثمة من قادة الرشـيد الأفذاذ أيضا. وقد توفي المأمون غازيا في مدينة طرسوس سنة 218 هـ. ونكتفي من تاريخ العباســيين بما تقدم بيانه. وهو مـا له صلة بالحوادث الآتية.

ليبيا والمغرب

ففي أثناء المدة التي انشـغل فيهـا الأمويون بمحاربة الثورة العباسـية. كان المغرب وليبيا قد سـئما الحكم الأموي للأسـباب المذكـورة في ثورة عبد الجبار فما كادت تصلهم الأنباء بسقوط الدولة الأموية حتى أعادوا سيرتهم المألوفـة مـن إعلان الثورة والخروج عـن الطاعة وصارت كل جهة من شـمال إفريقيـا تنظم إلى زعيم منها وتفتك بمن تجده من الأمويين وفي سـنة 137 قتل الوالي العام عبد الرحمن بن حبيب فاخذ محله ابنه المسمى حبيب.

ورفجومة

وقد ظهـرت بالجزائر قبيلة تدعى (ورفجومة) اتبعت مذهبا دينيا يخالف القرآن والسنة. فسلمت قيادتها لرجل منها اسمه (عبد الملك بن أبي الجعد) وزحفت على القرى تسـبي النسـاء وتيتم الأطفال وتزهق الأرواح بلا ذنب إلى

أن استولت سنة 140 هـ. على جزء كبير من شمال إفريقيا ودخلت القيروان فقتلـت أميرها حبيب بن عبد الرحمن وأحدثت فيها من الفظائع ما دل على فسـاد دينهـا وخلو قلوبها مـن الرحمة والشـعور الإنسـاني. فقتل رجالها أشـراف العرب. ونهبوا الأموال وخربوا المباني وربطوا دوابهم بمسجد القيروان الكبيـر ولما رأى أهاليها ما حل بهم مـن المصائب على يد هؤلاء الكفار الذين غلبوا بفظائعهم الوندال. فروا بأنفسهم طالبين النجاة ولجأ كثير منهم إلى ليبيا فوجدوا فيها الحنو الفارط والضيافة والإكرام.

الليبيون وأبو الخطاب

وكان الليبيون قد أعلنوا أيضا استقلالهم بزعامة بطل عربي الأصل متبع للمذهب الأباضي. اسمه عبد الأعلى أبو الخطاب بن عبد الرحمن بن السمح المعافري فزحف بهم على مدينة طرابلس وأخذها من الأمويين بالقوة. ثم تابع جهاده في سبيل حرية ليبيا إلى أن استولى على برقة وفزان. وأصبح الزعيم الوطني الأوحد وأمير البلاد بلا منازع.

الغيرة الإسلامية

وكانـت حـوادث تلك القبيلة الباغية قد انتشـرت في ليبيـا فتكدر لها النـاس جميعا خصوصا قبيلتي هوارة وزناتة ووجـه الغيورون على الدين من رجالهـا أنظار الحكومـة الوطنية الليبيـة إلى إن الواجب الإسـلامي يحتم عليهم أن ينصروا إخوانهم من أهالي القيروان وغيرها بما يملكون من تضحية وإخلاص للدين. فصادفت رغبتهم آذانا صاغية وقلوبا مسـتجيبة لنداء الحق وألف الزعيم أبو الخطاب جيشـا ليبيا من خيرة المجاهدين الأبطال. واستخلف مكانـه أميرا من أقربائه يدعى (عبد الله رحيم أبي الخطاب) ثم اتجه بجنوده نحو الغرب. وما زالوا يجدون السـير إلـى أن دخلوا تونس ولما دنوا من القيروان

خــرج لمقابلتهم أولئــك المفســدون يتقدمهم رئيســهم عبــد الملك فجرد الليبيون سيوفهم بسرعة البرق الخاطف وهجموا عليهم غير مبالين بالموت، ولا يريدون ســوى محوهــم من الوجود وإنقاذ إخوانهم فــي الدين من بلائهم الفظيع.

حرب الفجار

وقد اغتر عبد الملك وجنوده الأشــرار بكثرة عددهــم وظنوا إن الليبيين لا يحسنون القتال مثلهم فبادروا هم أيضا الحرب بلا إبطاء، ونشبت بين الطرفين معركــة هائلــة كانت فيها الســيوف تلمع كنجوم الليــل الدامس والرؤوس تتســاقط على الأرض كأوراق الشجر أيام الخريف وانين الجرحى ممزوجا بصياح الأبطال، وقد ارتوى فيها التراب بالدماء وارتفع هتاف التكبير من الليبيين إلى عنــان الســماء، وكان كل واحد منهم كأنه خالد بــن الوليد أو عقبة بن نافع الشــهيد، ولا غرو فهم أحفاد الذين فتحوا الدلتا المصرية وحكموها، وحاربوا الأمم الغازية بجرأة الأسود وحيروها.

الانتصار

وأخيــرا انجلت المعركــة الحامية بانتصــار المجاهدين الليبيــين إذ فر أولئك المفســدون أمامهم كما تفر الأرانب من الصقــور وتركوا زعيمهم عبد الملك مرميا على الأرض وهو مقتول بأســلحة الليبيين ودخلــوا القيروان كما دخل النبي مكة يوم الفتح، وعمت به الأفراح شــمال إفريقيا كله وارتفع صيتهم عاليــا في كل مكان ثم ذهــب أبو الخطاب وجنــوده وراء (ورفجومة) يفتكون برجالها فتكا ذريعا حتى تشتتوا في البلدان النائية وكان أبو الخطاب يريد أن يستولى على جميع البلدان المغربية، ولكنه فوجئ بخبر يقول إن العباسيين قادمون إلى ليبيا.

ضم القيروان لليبيا

فضم القيروان وما يتبعها من أراض إلى حكومة ليبيا الوطنية، وعين لها أميرا اســمه (عبد الرحمن بن رســتم الفارسي) ثم عاد هو وجنوده البواسل إلــى مدينة طرابلس فاســتقبلوه بالحفــاوة اللائقة بشــجاعتهم، غير إن أبا الخطاب لم يكن مهتما بشــيء ســوى إنقاذ البلاد من العباسيين والاحتفاظ بها مستقلة في مجموعة الشعوب الإسلامية، ولذلك اخذ يستعد لمحاربتهم بجيش أخر من أبناء البلاد ولما تم تنظيمه سافر به قاصدا برقة.

عناية المنصور

واتفــق انه بعــد أن احتلت (ورفجومة) القيروان فرمنها منها شــخصان إلى بغداد واخبرا أبا جعفر المنصور ما أصاب المسلمين من بلاء وعذاب، فاهتم الخليفة بهذه الحوادث الاسيفة وبمسألة شمال إفريقيا أيضا غاية الاهتمام.

حملة ابن الأشعث

ثــم أمر واليه بمصر (محمد بن الأشــعث) بان يزحف علــى ليبيا والمغرب ويجعلهما تابعتين لولايته، وواتى محمد بن الأشــعث إلى ليبيا بحملة قوية فاخذ برقة بلا مقاومة.

مقاومة أبي الخطاب

وزحف على طرابلس ولكنه ما كاد يصل إلى سرت الكائنة شرق مصراته حتى لقي أمامه أبا الخطاب بعســاكره فوقعــت بينهما حرب عنيفة القتال انتهت بفوز أبي الخطاب وانكســار ابن الأشــعث، ولما رأى العباســيون ما حل بهم بادروا بالرجوع إلى مصر هم وقائدهم.

الليبيون والعباسيون

وبما إن الأشعث اخذ أمرا من الخليفة باحتلال شمال إفريقيا في أسرع وقت، لذلك جهز قوة أخرى وقدم بها للمرة الثانية فوجد برقة مسالمة كما تركها فتابع سيره نحو طرابلس وكان يصحبه شخص أخر اسمه (الأغلب بن سالم التيمي) معين لولاية افريقية. وقبل أن يدخل أراضي مصراته جاءه أبو الخطاب بجموع كبيرة من المحاربين وتقاتلوا أيضا قتالا حاميا.

استشهاد أبي الخطاب

وفي هذه المرة خان الحظ الليبيين فمات زعيمهم أبو الخطاب بتاورغاء وقتل من رجاله اثنا عشر ألفا. وقد أحدثت وفاته عند جميع الذين عرفوا جهاده للمفسدين أسفا وحزنا عظيمين وقدرت الأمة الليبية مساعيه الكبيرة لاستقلال بلاده فذكرته بكل ثناء، ثم تقدم العباسيون فاحتلوا مدينة طرابلس والبلدان القريبة إليها سنة 144 هـ. وعينوا لها واليا من طرفهم يقال له (المخارق بن غفار الطائي) واستمروا في الزحف إلى القيروان ولما وصلوها وجدوا حاكمها (عبد الرحمن بن رستم الفارسي) الذي وضعه أبو الخطاب قد فر منها إلى جهات المغرب النائية فاحتلوها بلا مقاومة. .

الأغلب

وبعد أن رتب ابن الأشعث الحكومة العباسية بشمال إفريقيا، رجع إلى محل أعماله بمصر وباشر الأغلب شئون وظيفته الجديدة، وقبل أن يهنأ مدة طويلة وقف ضده بعد سنتين حاكم مدينة قابس المسمى (الحسن بن حرب الكندي) مدفوعا بعاطفة الحسد.

أسئلة واختبارات

متى نشأت الدولة العباسية وكم دام حكمها وما عدد خلفائها وأشهرهم بالذكر؟

حدثنا عما يأتي:

قبيلة ورفجومة وأعمالها بالقيروان.

حوادث ليبيا وأبي الخطاب في أثناء الثورة العباسية.

أسباب ذهاب أبي الخطاب إلى القيروان ووصف حربه هناك

ثم لأية مناسبة ذكرنا في هذا الدرس التواريخ الآتية 318 و 137 و 140هـ.

وبم عامل الليبيون اللاجئين ومن القيروان ثم من هو عبد الملك بن الجعد ومن هو عبد الله أبو الخطاب وعبد الرحمن بن رستم.

ليبيا في العهد العباسي

(50 – 49)

قتل الاغلب

قلنا في الدرس السابق إن الحسن بن حرب الكندي وقف ضد الأغلب مدفوعا بعاطفة الحسد والآن نقول ما زال يعمل له المكايد حتى اخذ إلى صفة جنود الأغلب وفرق عنه بالفتنة أصحابه المخلصين وتركه بلا قوة تحميه من الأعداء. ثم زحف الحسن على مركز ولاية الأغلب فاخذ منه القيروان. وحصلت بينهما معركة أصاب فيها الأغلب بعض السهام فقتلته.

ولاية ابن حفص

وفي سنة 151 هـ. أرسل أبو جعفر المنصور لافريقية واليا آخر اسمه (عمر بن حفص) فدخل ليبيا وأقام عليها حاكما جديدا خاضعا لأوامره يدعى (الجنيد بن بشار الاسدي) ثم مضى عمر بن حفص لعاصمة ولايته القيروان وكان المغرب قد رأى من ضعف العباسيين ومن عدم كفاءة قوادهم. ما شجعه على القيام ضدهم فاحدث أهليه فتنا واختلالات كثيرة.

ثورة أبي حاتم

وألف الليبيون جيشا كبيرا واتخذوا لهم أميرا اسمه (أبو حاتم يعقوب بن حبيب الأباضي) وحاولوا في هذه الثورة أن يعيدوا لأنفسهم أيام أبي الخطاب الظافرة فهجموا على مدينة طرابلس واحتلوها.

امتدادها

واخذوا من العباسيين البلدان الساحلية وبرقة. ثم اشتد عزمهم فغزوا تونس متغلبين على من عارضهم إلى أن دخلوا القيروان سنة 154 هـ. وقتلوا

أميرها (عمر بن حفص) وهو يدافع عنها. وما كادت تصل هذه الأخبار إلى بغداد حتى غضب لها أبو جعفر المنصور غضبا شديدا.

حملة يزيد

وأسرع فبعث لليبيا ستين ألفا من الجنود المدربة تحت قيادة الفارس المقدام (يزيد بن حاتم) وهو من حفدة المهلب بن أبي صفرة البطل الخارجي المشهور في تاريخ بني أمية. وكان أبو حاتم الأباضي قد عين للقيروان (عبد العزيز بن السمح المعافري) فتركه فيها وجاء إلى ليبيا فتلقى يزيد بالحرب العملي.

انتصارها

وبعد معارك كثيرة انتصر في بعضها الليبيون تغلبت عليه الجنود العباسية ودخلت عاصمته مدينة طرابلس سنة 170 هـ. ثم حصر يزيد خصمه أبا حاتم في جبل نفوسة وفتك به فقتله. ثم اخضع ليبيا كلها وتونس جميعها ومن حملتها القيروان. وقد رفعت هذه الانتصارات من سمعة يزيد في المشارق والمغارب ورأى الناس من بطشه ما رآه أهل العراق من الحجاج بن يوسف.

وفادة يزيد

غير انه لم يبق طويلا فأدركته الوفاة في نفس السنة التي قدم فيها وهي عام سنة 170 هـ. فتولى بعده أمر افريقية في مدة ثمانية أعوام ابنه داود ثم أخاه روح بن حاتم فابن أخيه الفضل بن روح ويفهمنا تعدد هؤلاء الحكام بن روح.

ضعف الولاة

ويفهمنا تعدد هؤلاء الحكام بان حالة المغرب كانت بعد يزيد في اشد

الهياج. وانه لم يكن واحد منهم يسد الفراغ الذي تركه. بل ماتوا هم الثلاث بلا عمل جدير بالذكر. ومن المؤكد إن الفضل بن روح مات مقتولا سنة 178 هـ. وفي هذا التاريخ كان هارون الرشيد هو الخليفة. فكدرته الأحوال السيئة في شمال إفريقيا وظن إن المسألة تحتاج إلى قائد مشهود له بالبسالة والرأي الحسن.

هرثمة وسفيان

فنادى احد قادته العظام المسمى (هرثمة بن أعين) وأرسله إليها. ولما وصل عاصمة ليبيا وضع (سفيان بن أبي المهاجر) أميرا عليها. وقبل أن يحقق رغبة سيده الخليفة فاجأته هنا مشاغبات قام بها (عياض بن وهب الهواري) وسمع عن اختلافات المغاربة وصعوبة انقيادهم لمن ليس منهم ما نفره من العمل. فأرسل للرشيد يطلب منه أن يتكرم عليه بالإعفاء من وضيفته. خصوصا وانه قد تعب جسمه من كثرة الحروب في المشرق. وتقدم به العمر أيضا. فأجيب إلى طلبه ورجع لبغداد.

المكي

فعين الرشيد محل هرثمة واليا آخر هو (محمد بن مقاتل العكي) ولكنه بدلا من أن يصرف عنايته لمصالح الخلافة. فيحارب العاصين وينظر في شئون ولايته. لازم الحياة المنزلية والراحة فاحتقره الجند وبغضه الأهالي وازداد الثوار نشاطا فهرب ملتجئا إلى ليبيا وأقام عند واليها سفيان.

إبراهيم

وكان للاغلب بن سالم ولد اسمه إبراهيم فعينه أبوه الأغلب قبل وفاته واليا على الزاب من ارض الجزائر وفطر على الأخلاق الحسنة والشجاعة. فلما سمع بهروب محمد العكي. أخذته الغيرة على شرف العباسيين وكرامة

العرب فكون جماعة قوية من أنصاره واستخلص بهم القيروان من أعداء محمد العكي. ثم استدعاه من طرابلس وأرجعه لولايته وكفل حمايته من الثوار. ولكن الأهالي بعد أن رأوا سلوكه السابق.

انتخابه

رفضوا الانقياد لحكمه واجبروا إبراهيم بن الأغلب على أن يكتب للرشيد مبينا له حقائق الأمور. وأنهم يريدون أن يتولى هو ولاية افريقية. فلبى إبراهيم رغبتهم وأرسل للخليفة ما اتفقوا عليه وافهمه أيضا انه إذا صار واليا فسيكتفي من المائة الف دينار التي ترسلها مصر كل عام مساعدة لحكومة القيروان نظرا إيرادها بمبلغ أربعين ألفا فقط.

تعينه

ولما تلقى الرشيد رسالة إبراهيم استشار أعيان دولته في هذه المسالة فوجدهم وخصوصا هرثمة بن أعين راضين كلهم عن إبراهيم ابن الأغلب ولم يقولوا فيه عيبا بل اثنوا على كفاءته ومقدرته وسيرته الممدوحة من الجميع. وبناء على هذه الشهادات الحسنة قرر الرشيد تعيين إبراهيم.

إمارة بني الأغلب

ونظرا لبعد شمال إفريقيا عن بغداد اضطر أن يجعل إمارتها وراثية في ذريته واشترط عليه أن يدفع للخلافة ضريبة سنوية تؤدي في نهاية كل عام. فقبل إبراهيم الشروط وباشر عمله سنة 184 هـ. وهكذا نشأت إمارة أو دولة بني الأغلب في شمال إفريقيا. وكانت أول عهد فيه للحكم الإقليمي المستقل وقد بقيت دولة هذه الأسرة نحو مائة سنة وبلغ عدد أمرائها أو ملوكها أثنى عشر أميرا. ومن أشهرهم تاريخا إبراهيم بن الأغلب المتقدم الذكر وهو مؤسسها. ثم محمد بن احمد صاحب الوقائع من ابن طولون كما سيأتي.

ليبيا في عهد الأغالبة

الثورة الأولى

وعلى الرغم من اهتمام الأغالبة وولاتهم براحة الليبيين والعناية بشئونهم فان أيامهم بهذه البلاد لم تخلوا من الفتن والثورات إلا سنين قليلة. فما كاد إبراهيم بن الأغلب يستلم ولاية افريقية. حتى نقم الليبيون على واليهم من طرفه (سفيان بن أبي المهاجر) وكان موجودا في منصبه هذا منذ أيام هرثمة بن أعين سنة 181 هـ. فقتلوا رجال حكومته ونجا سفيان هاربا إلى القيروان وأقاموا عليهم بدلا منه (إبراهيم بن سفيان التميمي) فأرسل إليهم الأمير إبراهيم جيشا قضى على فتنتهم واخذ واليهم إبراهيم التميمي إلى القيروان ثم عفا عنه وأرجعه لوظيفته مجاملة لليبيين.

الثانية

وبعد أربع سنوات عزله واسند سنة 196 هـ. الولاية لابنه وهو (عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب) ولم تمض عليه سنة حتى ظهرت منه أشياء أغضبت عساكره فنبذوا طاعته وحاصروه بداره في مدينة طرابلس يريدون قتله ثم فكروا في سوء العاقبة واكتفوا بمنحه الأمان على نفسه وألزموه على أن يترك المدينة مسرعا فقبل هذا الإلزام وسافر. ولما ابتعد إلى جهات الريف وسمع الناس بخبره أتوه متطوعين لنصرته على الجند خصوصا وانه ابن أميرهم فأحسن إليهم بالمال الوافر. وزحف بهم على مدينة طرابلس. وكان رجاله أكثر عددا ممن هم في داخلها فتغلب على العصاة الذين أخرجوه من قبل ذليلا ورجع واليا في محله وقد أثبتت هذه الحوادث لوالده إبراهيم بن

الأغلب أن بقاء ابنه بعد الذي جرى له. لا يتناسب مع كرامة أسرته. لذلك عزله وأعاد إليها للمرة الثانية واليها الأسبق (سفيان ابن أبي المهاجر) لغرضين (1) لينتقم من أعدائه وأعداء بني الأغلب. (2) ولأنه بخدماته الماضية اكتسب تجارب وخبرة لم يصل إليها أحد غيره.

الثالثة

وبينما كان سفيان يحاول في هذه المرة أن يقضي على أسباب الفتن. فاجأت البلاد ثورة خطيرة لم تكن في حسبان احد من الأغالبة.

بني رستم

فبعد أن فر (عبد الرحمن بن رستم) من أمام ابن الأشعث حين دخل القيروان سنة 144 هـ. ذهب إلى أراضي الجزائر واستطاع أن يؤسس فيها للبربر الأباضية دولة فاقت في عظمتها دولة بني الأغلب واتخذ عاصمتها مدينة (تاهرت).

تمارين للتثبيت

تخير كل اسمين مما يقعان ضمن قوس وتكلم عن ارتباطهما في حادثة واحدة (أبو الخطاب وابن الأشعث) – (حسن بن حرب والأغلب) – يزيد وأبو حاتم) – (هارون وهرثمة) – عبد الرحمن بن رستم وعبد العزيز بن السمح) – (إبراهيم والعكي).

ثم كيف نشأت دولة بني الأغلب؟ وكم دام عهدها وما عدد أمرائها؟

لخص لنا ثورتي ليبيا اللتين جرتا في هذا العهد.

ليبيا في عهد الأغالبة

(52 – 51)

عبد الوهاب

ولما مات عبد الرحمن بن رستم تولى إمارة بني رستم ابنه المسمى عبد الوهاب فاجتهد بان يمد سلطانه على شمال إفريقيا كله.

ليبيا

وجاء إلى ليبيا خفية متظاهرا بأنه يريد الحج لمكة، ثم اتصل بأعيان الأباضية من قبيلة هوارة وبين لهم فكرته في أن يخرجوا عن طاعة بني الأغلب وينضموا إلى مملكة بني رستم إخوانهم في المذهب، فرحبوا به ترحيبا زائدا.

ثورته

وتحمسوا لما جاء يسعى لتحقيقه بقلوب خالصة ولم يضيعوا الوقت عبثا فتقدمت قبيلة هوارة بالهجوم وفاجأت جنود الأغالبة وأبا المهاجر بالقتال العنيف حتى هزمتهم سنة 196 هـ. ودخلت مدينة طرابلس ظافرة وهدم رجالها ما فيها من القلاع والأسوار لتصبح مجردة من الدفاع.

مقاومتها

وما كاد يصل الخبر للأمير إبراهيم بن الأغلب حتى أرسل لتأديبهم ثلاثة عشر ألفا من الجنود بقيادة ابنه عبد الله والي ليبيا الأسبق فحاربهم ببسالة فائقة حتى استرجع منهم المدينة وأعاد بناء ما هدموه فورا.

اشتداد الثورة

ولما بلغ عبد الوهاب ما حل بأنصاره، نادى من مملكته قبائل كثيرة والتف

من حوله أتباعه الليبيون، ثم زحف بهم على مدينة طرابلس، ولكنه نظرا لمتانة حصونها لم يقدر على أخذها، وسد الأمير عبد الله بابها المعروف في ذلك الوقت بباب زناته، وركز حركة الدفاع في باب (هوارة) الذي سمى فيما بعد بباب المنشية، وأمام هذه الاحتياطات اكتفى الهاجمون بان حاصروها مدة طويلة، وتحولت فرق منهم تغزوا بقية البلاد إلى أن استولوا على ليبيا كلها واقتربوا من الأراضي المصرية.

وفاة إبراهيم

وبينما كان الأمير عبد الله ينتظر النجدة من القيروان أتاه النبأ بوفاة أبيه سنة 196 هـ. فترك مدينة طرابلس مضطرا ليشغل إمارة بني الأغلب.

حوادث عدة

وصالح عبد الوهاب بن رستم سنة 197 هـ. على أن يختص بحكم ليبيا الداخلية المتبعة للمذهب الأباضي منضمة إليها قابس وجربة، وان تبقى مدينة طرابلس والجهات الساحلية لبني الأغلب، واستمر هذا الاتفاق معمولا به إلى أن انقرض بنو رستم بظهور الفاطميين كما سيأتي، ثم عين الأمير عبد الله لما بقى له من ليبيا سفيان بن أبي المهاجر للمرة الثالثة، وبقى هو في القيروان أميرا مرتاح البال نحو خمسة أعوام ثم أدركته الوفاة سنة 201 هـ. وتولى بعده أخوه الأمير (زيادة الله) فازدادت في أيامه الفتن والقلاقل ولم يبقى بيده سوى تونس وحدثت في ليبيا ثورة كبيرة أحدثها أفراد من قبائل زواغة ولواته، وقتلوا فيها الوالي (سفيان بن أبي المهاجر) سنة 223 هـ. وفي هذه السنة توفى أيضا الأمير زيادة الله، وجاء بعده أخوه الأغلب، فعين لليبيا حاكما من أسرتهم يدعى أبو العباس، وفي سنة 226 هـ. ترك أبو العباس ولايته وذهب للقيروان حيث جاءه النبأ بانتقال الإمارة إليه، وتولى مكانه أميرا على ليبيا شخص آخر من أسرتهم، هو (عبد الله

بـن محمد) وبعد ثلاثة أعوام من ولاية هذا الأميـر امتنع الليبيون الخاضعون لبنـي الأغلب عن دفع الأعشـار له، وثاروا عليه حتى الجـأوه إلى التحصن في لبدا، ثم انتقل إلى مدينة طرابلس، وأخيرا جاءته من القيروان نجدة عسكرية، فحاربهم بها حتى انهزموا واحرق أموالهم وقتل منهم واسـر عددا عظيما، ولما رأوا ما حل بهم من بطشه دفعوا له رهائن من الرجال دلالة على رضائهم بالتزام الطاعة ودفع الضرائب المطلوبة منهم للحكومة وبذلك هدأت بليبيا الساحلية الأحوال.

أبو الغرانيق

وتتابـع الموت بالآجال في أمراء الأغالبة إلـى أن كانت إمارة (أبي الغرانيق محمد بن احمد) سنة 250 هـ. فأهتم بحصون الدفاع اهتماما عظيما وقد أكثر من بنيانها حتى امتدت على الشواطئ من المغرب إلى برقة، وقدرت هذه المسـافة بعشـرين يوما وقوى نفوذه إلى أن قضى على الفتن وألف أسـطولا كبيرا فتح به مالطا وفي سنة 255 هـ. عين لليبيا واليا من رجالات حكومته الأكفاء، وهو محمد بن قهرب، وبعد أن مات أبو الغرانيق سنة 261 هـ. تولى مكانه أخوه الأمير إبراهيم بن احمد.

ابن طولون

ومـن أهم الحوادث التي جرت في ليبيا في أيامه، هي إن العباس بن احمد بن طولون حاكم مصر في ذلك الوقت، حاول أن يفتح افريقية ليجعل لنفسه أثرا خالدا، فجهز حملة مؤلفة من عشرة آلاف جندي سوداني وثمانمائة فارس وخمسـة آلاف بعير، تحمـل المئونة ومعدات القتال وصناديـق مليئة بالذهب والنقـود، ثم زحف بها سـنة 265 هـ. إلى ليبيا واسـتولى على برقة وقصد طرابلـس ومازال يتقـدم إلى أن وصل إلى مكان اسـمه (حاتم) بأرض سـرت فتلقاه الوالي محمد بن قهرب مع جنوده واشـتبك الفريقان بحرب شـديد،

فخالف الحظ ابن قهرب فانهزم راجعا إلى مدينة طرابلس وامتلك ابن طولون لبدا ثم تقدم إلى العاصمة فحاصرها ثلاثة وأربعين يوما.

إلياس

وفـي أثناء هذه المدة تعدى جنوده علـى منازل الأهالي وارتكبوا بعضا من الأعمـال السـيئة وكان على جبل نفوسـة رئيس أباضي من قبـل دولة بني رستم، ليبي الأصل ذو شهامة ودين صحيح، اسمه إلياس بن منصور فجاءته أخبار مؤلمة بما جرى لإخوانه الطرابلسيين من ابن طولون، فعزم على نصرتهم كما إن هذه الحوادث وصلت إلى الأمير إبراهيم بن احمد فأرسـل مع شـخص تابع له اسـمه (بلاغ) عسـاكر نجدة لمحمد بن قهرب، وأرسـل إليه أيضا كتابا يأمره بان يشاغل لبن طولون بالحرب لبينما يصل هو إليه ويشتركا في قتاله معـا، فلبى محمد بـن قهرب الأمر وصار يناوشـه برفق، ولما جـاءه إلياس بن منصور باثني عشر ألفا من الرجال البواسل، لم يريا هما الاثنان لزوما لانتظار الأمير إبراهيم بن احمد، فهجموا على ابن طولون وارتد بعسـاكره راجعا إلى المشـرق وتركـوا أمتعتهم ملقاة على الأرض بما فيها مـن ذهب ونقود وفضة ونفائس غالية شـتى، ثم رحل إلياس هـو وأصحابه إلى الجبل ولم يأخذوا من تلـك الغنائم شـيئا، ليبرهنوا على أنهم أتوا دفاعا عن الأعراض والشـرف لا رغبة في المال والأسلاب.

مجيء إبراهيم

وبعد انهـزام الطولونيين اقبل الأمير إبراهيم من القيروان فوجد المعركة قد انتهت على أحسن حال، فاخذ ما تركه أعداءه من الخيرات الكثيرة.

الواسطي

أما ابن طولون فانه وصل إلى برقة مخزيا، وفر من أتباعه شـخص يدعى

(أحمد بن محمد الواسطي) فاطلع والده احمد أمير مصر على ما أصاب ابنه العباس من الليبيين، وافهمه غرور ابنه وطيشه حتى تأثر والده احمد من انحطاط سمعته بين الناس وحاول أن يغزو ليبيا بنفسه آخذا معه مائة الف جندي، ولكنه خشي سوء العاقبة فلازم مكانه بمصر.

فكرة مصر

على إن الأغالبة بعد انتصارهم على ابن طولون فكروا في اتخاذ برقة معسكرا كبيرا ليجعلوها وسيلة للهجوم على وادي النيل وانتزاعها من ابن طولون الذي تجرأ ابنه على غزو شمال إفريقيا، ففي سنة 283 هـ. جهز الأمير (إبراهيم بن احمد الأغلبي) جيشا كثيفا واتجه به من طرابلس إلى برقة، محاولا تنفيذ تلك الخطة ولكنه لما وصل به إلى أراضي سرت انتقض عليه الجند، فرجع إلى القيروان وهو آسف لعدم تمكنه من تحقيق أغراضه العالية.

وفاة إبراهيم

ثم مات بعد ست سنوات من هذا التاريخ وقد اختفت بوفاته عظمة الدولة الأغلبية، وابتدأت تظهر فيها علامات تشير إلى قرب زوالها.

ليبيا في عهد الأغالبة

(53 – 54)

حضارتهم

ومع كثرة ما لاقاه بنو الأغلب من الفتن والحروب، وقد استمر بعضها في ليبيا حتى بعد حادثة ابن طولون، وقتل في إحداها الوالي محمد قهرب، فقد انشأوا في دولتهم حكومة شهد تاريخهم بأنها خدمت العلم والحضارة طيلة أيامها.

النظام الحكومي

وكانت تقلد العباسيين في جميع مظاهر الرقي والعمران، فجعلوا في ليبيا وتونس قضاة يفصلون في النزاع القائم بين الأفراد، يعينهم باسم الحكومة قاض عام، وله اختصاص يشابه في الوقت الحاضر اختصاص وزير العدالة في الممالك الراقية، ونظمت في كل جهة دواوين الحكومة وأسندت أعمالها إلى رجال أكفاء، وكان منهم الشرطة لحفظ الأمن وجباة للأموال والضرائب وقادة للجيش والجند الحارس للشواطئ وسمى هؤلاء بالمرابطين، ومنهم مديرون للمصالح الشعبية، ورؤساء للبلديات قيل لشرطتها الحسبة، وقد بذلوا عناية خاصة بالأسطول الحربي والتجاري وزخرت بوحداته موانى طرابلس وقابس وجربة وسوسة في برقة.

البريد

وبالغوا في تحسين البريد فأقاموا له محاط خاصة ذات مسافات معينة الأميال، إذا وصلتها خيول المراسلة استبدلوها بغيرها من الخيول المرتاحة، وتركوا القادمة موضع الأولى لتستجم نشاطها.

إشارات

واتخــذوا في عهد الأمير إبراهيم بن محمد إشــارات مــن النار كان الخبر يصل بها في ليلة واحدة من جبل طارق إلى الإسكندرية.

ليبيا

ونالــت ليبيا مــن عنايتهم القســط المرضي فقد تولــى حكمها أميران من أســرتهم أصبحــا فيما بعد رئيســين لدولة الأغالبة وهمــا عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب والعباس بن محمد. وهذا بالنسبة لليبيا شرف عظيم لم يشــاركها فيه سوى القيروان. واهتموا بإصلاحها في الزراعة والمباني وافتتاح المدارس على قدر ما ســمحت بــه أيامهم المليئة بالثــورات الداخلية وحروب الأعداء من الشــرق والغرب. ومما يدل على نشاط الحركة الثقافية في زمانهم ظهــور الولي الكبير ســيدي عبد الله الشــعاب والعلامة ســيدي عبد الله السرتي. ولئن كان زمن الخلفاء الراشدين في ليبيا هو مطلع الإيمان الصحيح. وأيام بني أمية فجر نهضتها الإســلامية. فان عهد بني الأغلب كان أزهر أيام حضارتها العربية ونضوجها الوطني. ولو ابتســم له الحظ قليلا فاخر حملة ابن الأشــعث الثانية ســنتين أو ثلاثة لكادت تصبح بزعامة أبي الخطاب دولة مستقلة واسعة الممالك وذات نفوذ كبير وصيت بعيد.

نهايتهم

وفي سنة 290 هـ. انتقلت الإمارة إلى فرد من أسرتهم اسمه (أبو مضر زيادة الله) فبدلا من أن يســير على خطة أجــداده العظام فينظر في حماية مملكتــه من الأعداء ويســعى لرقيها بالعمل المتواصل. انصرف إلى التســلي باللهو ومعاشــرة الســفهاء الذين لا يريدون ســوى التمتــع بخيراته. وبينما هــو في غفلة مــن مصائب الأيام ظهرت في المغرب الثــورة الفاطمية وزحف

رجالها ســنة 296 هـ. إلى القيروان. فأخذوها من الأغالبة وفر زيادة الله إلى طرابلس وبعد أن مكث فيها ســبعة عشــر يوما ذهب لمصر حيث مات فيها بعلــة صحيــة. وهكذا زالت مملكة بني الأغلب بعــد أن حكمت افريقية مائة واثنتي عشر سنة. وتفرق امراوها بظهور الفاطميين في نواحي الارض.

اختبارات

(1) صف لنا ثورة عبد الوهاب مع بيان أسبابها ونتائجها.

(2) وصف لنا ما اشــتملت عليه حملة ابن طولون وأسباب انكساره وتأثير ذلك على والده.

(3) ثم من هو الجد الأول لبني الأغلب؟ وكيف كان دخوله لشــمال إفريقيا؟ وفي أية سنة دخل؟

(4) ثم ما صلة ســنة 181 و290 بتاريخ الأغالبة وســنة 283 بتاريخ الأمير إبراهيم؟

(5) لقد اشــتركت هذه الأســماء (قهرب – بلاغ – إلياس) في حادثة واحدة فما هي هذه الحادثة.

(6) حدثنا عن حضارة الأغالبة. وعن القضاء والبريد ودواوين الحكومة.

خلاصة المرحلة الثانية

العرب

وخلاصة هذه المرحلة إن العرب امة من الجنس السامي كالفينيقيين والبيزنطيين وكانت منازلهم في شبه جزيرة العرب المعروفة باسمهم، وكانوا قبائل رحلا يسكنون في الخيام، وفيهم مستحضرون كاهل اليمن وغسان والحيرة ومكة والمدينة بالحجاز، وأحدثوا في اليمن حضارة رائعة شابهت مدنية الرومان والإغريق من وجوه كثيرة، وقد امتازوا بأخلاق كريمة، ولكنهم اتبعوا عوائد رذيلة كاهل زمانهم وعبدوا أيضا الأصنام، وبينما هم على تلك الأحوال الفاسدة جاءهم من قبل الله نبينا محمد فدعاهم للإسلام بالقرآن المنزل عليه من ربه، ولكنهم في بادئ الأمر أنكروا رسالته ثم صدقوه ودخلوا في دين الله أفواجا، وبعد أن أتم تبليغ الدين الحنيف توفى بالمدينة المنورة من ارض الحجاز.

الراشدون

فتولى بعده أمر المسلمين خلفاء أربعة لقبوا بالراشدين، وهم على الترتيب الأتي: سيدنا أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب وكلهم تربطهم بالنبي صلة القرابة والمصاهرة.

عمرو

ففي خلافة ابن الخطاب فتح قائده عمرو بن العاص فلسطين ومصر ثم زحف إلى ليبيا فصالحته برقة سنة 22 هـ. على جزية مقدارها اثنا عشر الف دينار، وتقدم إلى طرابلس فحاصرها شهرا ثم فتحها سنة 23 هـ.

واستولى بعدها على ليبيا كلها، وهدم سور المدينة عاصمة البلاد احتراسا من أن يباغته الروم ويتخذونها مركزا للدفاع والهجوم، وبنى فيها أول مسجد إسلامي، وقد حاول أن يزحف إلى المغرب فلم يأذن له سيدنا عمر بذلك، وبعد أن نظم في ليبيا مصالح وهو من عظماء الجاهلية والإسلام، وقد اشترك مع خالد بن الوليد في معركة اليرموك، وتولى إمارة مصر وليبيا مرتين الأولى زمن عمر والثانية أيام معاوية سنة 42 هـ. وفي هذه السنة توفي بمصر ودفن في جامعه هناك المعروف باسمه، وقد رحب الليبيون بالعرب لمشابهتهم إياهم في كثير من العادات، ولاتصاف جنودهم بالأخلاق الحميدة المستمدة من الدين.

عثمان

وفي خلافة سيدنا عثمان جاء والي مصر عبد الله بن أبي سرح إلى تونس بحملة قوية سميت بغزوة العبادلة، وفيها أيضا عقبة بن نافع وكثير من المجاهدين الكبار فتغلب على الروم في معركة سبيطلة سنة 27 هـ. ثم صالحه أهالي شمال إفريقيا على الجزية ورجع لمصر.

الأمويين

ولما انتقلت الخلافة إلى بني أمية ارجع معاوية عمرو ابن العاص إلى ولاية مصر وليبيا، فعين عمرو ابن خالته عقبة بن نافع أميرا لإفريقيا المراد بها في ذلك الوقت ليبيا وتونس.

عقبة

وقد انتفضت في زمانه قبائل برقة وفزان واغدامس فحاربها حتى رجعت للدين والطاعة، وبنى في تونس مدينة القيروان وجعلها مقرا لأعماله، وتودد للأهالي المسيحيين منهم واليهود فأحبوه واسلم منهم جمع كبير

وتطوعوا في الجيش العربي. ثم عزله معاوية فاضطربت بعده أحوال المغرب. وفي خلافة يزيد أرجعه للمرة الثانية فقضى على جميع الثورات وزاد الفتح إلى المحيط الأطلسي. وبينما هو راجع من هذه الغزوة الظافرة إلى القيروان اغتاله فريق من الثوار. وكان في التاريخ الإسلامي يضاهي خالد بن الوليد. وباستشهاده رجعت الثورات في شمال إفريقيا بصورة خطيرة كادت تزيل الحكم العربي من المغرب وليبيا بتاتا.

زهير

وتولى قيادة الثوار شخص يقال له (كسيلة) قتله زهير بن قيس الذي تولى الإمارة بعد عقبة. وكان زهير من خيرة القادة الذين اشتهروا في حروب شمال إفريقيا أيام عقبة وقد مات مجاهدا للروم في برقة حين خرجوا إليه بأسطولهم.

الكاهنة

فسلم الثوار المغاربة قيادتهم لامرأة فائقة الشجاعة اسمها الكاهنة (داهيا) وقوى نفوذها حتى أخذت من العرب الجزائر وتونس واحتلت القيروان وبعضا من ليبيا الغربية.

حسان

ثم قتلها الوالي الجديد حسان بن النعمان. وبموتها خضع المغاربة وحسن إسلامهم وشاركوا العرب في الفتوحات والجهاد. ثم رجع حسان إلى المشرق وقد بني في مصراته قصورا عرفت باسمه.

موسى

وفي عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك عين لشمال إفريقيا موسى

ابن نصير فقضى على جميع الفتن. وألف بين قلوب العرب والبربر بالعمل الصالح وجعلهم في جيش واحد تولى قيادته فارس مغربي اسمه طارق بن زياد. وفتح هو وطارق الأندلس وجعل المغرب ثلاثة أقسام. المغرب الأدنى والأوسط والأقصى وذلك ليسهل أعمال الحكومة. واتخذ عاصمة ولايته القيروان. وترقى شمال إفريقيا بمساعيه رقيا إسلاميا عظيما. وأسس في ليبيا الجوامع والمساجد وأقام فيها المكاتب القرآنية. وراجت في عهده الزراعة والتجارة وسافر هو وطارق بغنائم الأندلس إلى دمشق. فمات الخليفة الوليد بعد وصولهما بثلاثة أيام ثم غضب عليه الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك لأنه لم يشر على والده باختياره للخلافة قبل الوليد ونفاه إلى الحجاز إلى أن مات فيه.

اختبارات

(1) ما هي أحوال العرب قبل الإسلام وما بعده؟ وكيف فتحت برقة وطرابلس؟ وفي أي سنة ذلك؟ ولماذا رحب الليبيون بالعرب؟

(2) ما هي الصلة التاريخية التي جمعت بين (كسيلة وزهير) وبين (الكاهنة وحسان) وبين (ابن الأشعث وأبي الخطاب) وبين (يزيد بن حاتم وأبي حاتم).

(3) ثم اذكر الأعمال التي قام بها في ليبيا كل من عمرو وعقبة وموسى مع بيان أخر حياتهم.

(4) وما معلوماتك عن بني الأغلب وعن ثورة عبد الوهاب وعن غزوة ابن طولون ومصيرها.

تتمة المرحلة – الفاطميون

(56 – 55)

بعد موسى

وتولى بعد موسى بن نصير اثنا عشر واليا لم يكن في تاريخهم من يماثل موسى في الاقتدار وحسن السياسة. وكثرت في أيامهم الفتن والاضطرابات.

حبيب

وفي ولاية (عبد الرحمن بن حبيب) حفيد عقبة بن نافع استقل بشمال إفريقيا ووافقه الخليفة مروان بن محمد على هذا. وثار في ليبيا شخص يقال له عبد الجبار واستولى على مدينة طرابلس ثم قتل عبد الرحمن. وفي سنة 132 هـ. سقطت الدولة الأموية وكانت أيامها العصر الذهبي للإسلام. إذ انتشرت الفتوحات من الهند إلى ارض فرنسا. وبلغ الأسطول نحو ألفي قطعة. ومن أشهرهم معاوية وعبد الملك والوليد بن عبد الملك.

العباسيون

وحل مكان الأمويين الدولة العباسية فنبذ شمال إفريقيا خلافتها وانفردت كل جهة بزعيم منها. وعاثت قبيلة (ورفجومة) في الارض فسادا.

أبو الخطاب

وأعلن الليبيون استقلالهم بقيادة أبي الخطاب وانتزعوا من الأمويين ليبيا كلها. ثم زحفوا إلى القيروان وأخذوها من قبيلة (ورفجومة) وأخيرا تمكن العباسيون بحملة ابن الأشعث من قتل أبي الخطاب والاستيلاء على افريقية. ومع هذا فان الفتن لم تهدأ وكان لا يأتي وال حتى يعزل بغيره أو يقتل.

أبو حاتم

ومن أهم الحوادث التي جرت في ليبيا بعد أبي الخطاب. ثورة أخرى تزعمها أبو حاتم وقوى نفوذه حتى اخذ القيروان وخضعت له البلاد ثم تغلب عليه في جبل نفوسة القائد العباسي يزيد بن حاتم.

إبراهيم الأغلبي

ولما جاءت خلافة هارون الرشيد اسند ولاية افريقية إلى إبراهيم بن الأغلب بالوراثة وهي أول عهد للحكم المستقل في شمال إفريقيا. وامتدت في نسله نحو مائة واثنتي عشرة سنة.

عبد الوهاب

وكان من أهم الحوادث التي جرت زمن بني الأغلب في ليبيا ثورة عبد الوهاب صاحب مملكة بني رستم في الجزائر. فقد حرض أهالي الجبل الغربي على الانضمام إلى حكمه فانقادوا له بثورة كبرى حتى انتزعوا من الأغالبة المناطق الداخلية وتركوا لهم السواحل. وشمل نفوذهم فزان وبرقة إلى الحدود المصرية. ثم غزوة ابن طولون لبرقة وطرابلس بحملة قوية في الرجال والمال. وبعد أن حاصر طرابلس تعدى جنوده على الأهالي فغار زعيم الجبل المسمى إلياس على إخوانه الطرابلسيين وساعد الوالي الأغلبي محمد بن قهرب حتى تغلبوا عليه. فرجع إلى مصر مخذولا ولقد كان عهد الأغالبة في ليبيا عهد ثوران مستمر ومع هذا فقد اهتموا بترقية البلاد على قدر ما سمحت به ظروفهم الصعبة. ومن أعظم أمراء دولتهم إبراهيم بن الأغلب وأبو الغرانيق وإبراهيم بن محمد. وكان بنو الأغلب يقلدون الحضارة العباسية في بغداد وفي كثير من مظاهر الحياة ونظام الحكم انتعشت في زمانهم الحركة العلمية ونشطت الزراعة والتجارة. وأخيرا انقرضوا سنة 296 هـ. بظهور الدولة الفاطمية.

تتمة أسئلة المرحلة

ما علاقة عبد الجبار بعبد الرحمن بن حبيب؟ وفي أية سـنة سـقطت الدولة الأموية؟ وكيف كانت أيامها تقاسـم الأغالبة وبني رستم حكم ليبيا؟ ومن هم أعظم أمراء بني الأغلب وماذا تعرف عن نشأة طارق وأعماله ومصيره.

ليبيا في العهد الفاطمي

الفاطميون

الفاطميون هم أفراد انتسبوا إلى فاطمة بنت النبي، وحوالي سنة 231 هـ أيام انحلال الدولة العباسـية في المشرق، ظهر في العراق رجل من أولئك الأفراد اسـمه (المهدي بـن محمد)، واخذ يعمل سـرا لننيل الخلافة وجعلها في ذريته، ثم أرسـل إلى المغرب شـخصا حازما من أتباعه اسـمه (عبد الله الشـيعي) فنشر فيه أفكار المهدي ونجح سـنة 297 هـ بأحداث ثورة عامة تناولت شمال إفريقيا كله وأزالت منه مملكة بني الأغلب وبني رستم وأقامت الخلافة الفاطمية، ثم بنوا في تونس مدينة جديدة سموها المهدية واتخذوها عاصمـة لهـم وكان أول خلفائهم (عبد الله بن المهـدي) المتقدم الذكر وقد بايعته تونس والجزائر.

ليبيا

وبعث إلى ليبيا جيشـا بقيادة (ماكنون اللحياني) ليضمها إلى الخلافة الفاطمية، فلما وصل إلى أرضها وجد من الليبيين مقاومة شديدة لم تمكنه مـن تنفيذ الغـرض الذي جاء من أجله ولما رجع (ماكنـون) خائبا غضب عبد الله من فشـل الحملة وخشـي أن تكون ليبيا سـببا في انتقاض غيرها من البلدان، لذلك أرسـل لغزوهـا مرة ثانية حملة وافرة الجنـود بقيادة ابنه (أبي القاسم القائم بأمر الله) الحصار والفتح

وحـين وصلـت قابلها الليبيـون بالحرب القـوي ولكن أبا القاسـم تغلب عليهم وتقدم فحاصر مدينـة طرابلس حتى نفذ منها القوت واضطرت إلى

التسـليم فدخلها سـنة 303 هـ. دخلـة الحانق الغضوب وقتـل بعضا من الأهالي الذين كانوا قد ذموا الفاطميين بألفاظ مؤلمة، ثم اجبر السكان على أن يدفعـوا لتأمين أرواحهم غرامة مقدارها مائـة الف دينار، فأعطوها له بلا ممانعة ثم ذهب إلى برقة فاستولى عليها، وفي سنة 322 هـ. مات والده عبد الله وتولى هو مكان أبيه، وقبل أن يرتاح قليلا من المتاعب فاجأته بليبيا حادثة أخرى كادت تقضي على خلافة الفاطميين من المغرب.

طالوت

فقد ظهر فيها رجل اسـمه (ابن طالوت القرشي) وخدع الناس بأنه ابن المهدي مؤسـس الدعوة الفاطميـة، فصدقوه وناداهم للزحـف على مدينة طرابلـس فلبى فريق من أهالي الريف نـداءه، وهجموا يريدون احتلالها ولكن الوالـي تحصن فيها هو وعسـاكره وقاوموا ابن طالوت فلم يسـتطع أخذها، ثم اتضح لليبيين إن الرجل محتال جريء وكذاب اشـر فقتلوه وأرسلوا رأسه للقائم بأمـر الله إثباتا له بأنهم خرجوا عن طاعة بـن طالوت وإنهم راضون بالفاطميين.

انتقالهم

وفي زمن خليفتهم الرابع المعز لدين الله وهو حفيد أبي القاسم وأعظم رجـالات هذه الدولة، فتح قائده جوهر الصقلـي مصر وبنى فيها القاهرة ثم الجامع الأزهر سـنة 361 هـ. فترك (المعز لدين الله) عاصمته المهدية وسافر إلـى مصر ليجعلها مركـزا لخلافته، وصحب معه أسـرته وعظمـاء الدولة واخذ كنوزه من الذهب فجعلها سبائك على هيئة الارحاء وجعل كل رحاتين يحملها جمل، وفي أثناء ذهابه إلى وادي النيل مر بطرابلس وبرقة إلى أن وصل مصر واتخذ القاهرة عاصمة لدولتهم، وامتد ملك الفاطميين جهة الشـرق حتى استولوا على فلسطين وسوريا ووصلوا إلى الشرق على حدود العراق.

الأسر المتنفذة

وبانتقـال الفاطميين إلى مصر سـندخل في دراسـة التاريخ الليبي أيام الأسـر المتنفـذة ويجوز أن نقول عنـه عهد الإمارات المسـتقلة أيضا، ومهما اختلفت في هذا العهد التسـميات فمن الثابت المؤكد إن هذه الأسر تولدت كلها من انحلال الرابطة الإسـلامية في جميع البلدان التي شـملها الفتح العربي، ففي العهد الأموي كانت دمشـق مركزا لدائرة الحكم الإسـلامي في مشارق الارض ومغاربها، ولم يكن فيها احد من الولاة إلا وهو مطيع للخليفة الأموي في جميع ما يأمر به أو ينهي، ولم يتجرأ أي وال على أن يتخذ وظيفته سـبيلا لمطامعه الخاصة، لذلك رأينا أمثال عقبة وزهير وموسـى، على الرغم من قوة نفوذهم ومقدرتهم على الاسـتقلال كانوا أطوع للخليفة من بنانه ومتبعين لقوله تعالى (وأطيعوا الله والرسـول وأولـى الأمر منكم) في كل شـيء، فلما جاء العباسـيون ورأوا أنفسـهم بعد الرشـيد وفي أيامه أيضا ضعافا فـي القوة والعصبية، خضعوا لنفوذهم الحـكام الأقوياء فمنحوهم الاستقلال في الجهات التي يحكمونها يفعلون بها ما يريدون، واكتفوا منهم بضريبة سـنوية ينفقها الخليفة على نفسه في متع الحياة بين القصور، غير مبال بما لحق الناس من مظالم الأمير المستقل ولا يهمه سعدوا أم شقوا.

اختبارات

من هـم الفاطميـون؟ وفي أي عهد وبواسـطة من نشـأت فكـرة دعوتهم للخلافة؟ وما هي الطرق التي سـلكوها حتـى تحققت فكرتهم ومن هو أول خلفائهم ومن أشهرهم ذكرا؟

صف لنا: كيف فتح ابو القاسـم مدينة طرابلس. ثورة طالوت وعلام انتهت. انتقال المعز لدين الله إلى مصر. ثم ما هي الأسر المتنفذة؟ وما أسباب نشأتها؟ وما وجه الخلاف بين صلة الولاة بالخليفة في عهدي الأمويين والعباسيين.

ليبيا في عهد الفاطميين

(58 – 57)

الأفراد المغامرون

وبناء على تلك الأحوال الاسيفة التي ذكرناها سابقا عن نشأة الأسر المتنفذة، صار في كل إقليم أفراد يحكمون الناس بالمغامرات والنفوذ القبلي، وإذا شعر احدهم بالمنافسة على أخذ السلطة منه يعلن انضمامه إلى دولة قوية مجاورة لبلاده ليخشى أعداؤه بطش تلك الدولة فلا يلحقون به ضررا، وأحيانا يقوم بعض من الحاسدين الشجعان فيهيج الراغبين في المكاسب على الثورة ضد الوالي أو الأمير المستقل، ويتولى هو قيادتهم فإذا نجح في أغراضه اختص وحده بالغنائم والرتب العالية وأعطى ما فضل من مطامعه إلى أولئك الأتباع الذين ارتقى بهم إلى الحكم والنفوذ، وأما إذا فشلت الثورة كان هو أول من يندس بين الهاربين ويترك أصحابه تحصد رقابهم سيوف الجند الهاجم بلا رحمة أو إشفاق، وكثيرا ما كانت الثورات تحدث من أفراد الشعب الذين لا طمع لهم في النفوذ الشخصي ولا رغبة لنيل الثروة عن طريق الفتن بل كانوا يعلنون العصيان كلما أحسوا ظلما لا يطاق، ويرحبون في سبيل التخلص من الشقاء بالموت العاجل، وسنرى غالبا هذا في حوادث الأيام الآتية من عهد بني زيري إلى نهاية العصر التركي.

بنو زيري

فقبل أن ينتقل المعز لدين الله إلى مصر اسند ولاية المغرب بالوراثة لأحد قادته العظام اسمه (يوسف بليكين زيري) وهو بربري الأصل كان والده خدم مصلحة الفاطميين في أول ظهورهم كما خدمهم ابنه يوسف هذا بعد أن فازوا بالملك.

ليبيا

ولكن المعز رفع اختصاصه عن النظر في شئون ليبيا، والحق برقة بمصر وأقام (عبد الله بن يخلف الكتامي) واليا على طرابلس وسرت واجدابية، ولما مات المعز وصارت الخلافة لابنه المسمى (نزار) طلب منه يوسف بليكين أن يجعل حكمه يمتد على طرابلس وملحقاتها، فأجاب (نزار) طلب يوسف ودخلت ليبيا الغربية في حكم بني زيري، وأرسل لها يوسف واليا من طرفه اسمه (حويصلة بن البكار) واستمر حويصلة شاغلا لوظيفته إلى الزمن الذي تولى فيه إمارة بني زيري الأمير باديس بن منصور.

باديس

وهو اعني باديس حفيد يوسف بن بلكين ففي هذا التاريخ طمع (حويصلة) في أن يختص وحده بخيرات طرابلس ويؤسس فيها لذريته حكما مستقلا أسوة ببني زيري في المغرب، فأخفى نواياه الحقيقية وأرسل إلى الخليفة بمصر يرجو منه أن يرجع طرابلس إلى حكومة القاهرة حسب الاتفاق الأول، ولكن الخليفة بدلا من أن يوافق حويصلة على رجائه فيعينه هو أرسل لولاية طرابلس شخصا أخر يقال له (يانس الصقلي) وذهب حوصلة إلى مصر بأموال عظيمة اكتسبها من وظيفته الماضية، لينفذ بها أغراضه وليقدم بعضها إلى الخليفة على سبيل الهدية وفي مقابل تزلفه هناك للخليفة بتلك الأموال عينه واليا لدمشق بسوريا، وما كاد باديس يسمع بقدوم يانس الصقلي حتى سخط على الفاطميين، لأنهم بهذا التصرف الغريب نقضوا العهد فاخرجوا طرابلس عن إمارة بني زيري، لذلك صمم على أن يسترجعها بالقوة، وسنرى في الدروس الآتية ما جرى لبني زيري في سبيل طرابلس من الحروب الكثيرة.

المعز بن باديس

وفي سنة 405 مات الأمير باديس وتولى مكانه ابنه المسمى (المعز بن باديس) وكأن هذا الأمير الجديد نفر من مذهب الفاطميين الديني لأنه في كثير من أحواله مخالف لنصوص القرآن والسنة، وشاركه في هذا النفور جميع المسلمين الذين هم ليسوا على مذهب الفاطميين، أو كأنه أراد أن يتغلب على الأباضية بإيجاد مذهب أخر يقلل من نفوذهم الديني الكبير، فترك بيعة الفاطميين وعقائدهم الزائغة وأعلن انضمامه للعباسيين في بغداد، وخطب في الجوامع باسم خليفتهم ورفع الأعلام العباسية على دور الحكومة، ثم نشر في المغرب المذهب المالكي واتبعه هو نفسه.

العرب

ولما وصلت أخباره إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله في القاهرة جازاه منتقما من خروجه عن طاعتهم بان افلت عليه قبائل من عرب الحجاز كانت تسكن أطراف النيل بمصر فاكتسحت بجموعها الهائلة ليبيا والمغرب اكتساحا شديد الوطأة، حصل للناس بسببه أضرار جسيمة في كل شيء وعلى الرغم من انشغال المعز بن باديس بحروب الفتن المنتشرة في أنحاء مملكته، فانه حارب قبائل العرب بمنتهى الشجاعة والصبر، ولكنها أخيرا تغلبت عليه سنة 444 هـ. في معركة حيدران الكائنة بأراضي تونس، ثم استقر أفرادها بشمال إفريقيا كله واندمجوا مع أهاليه في العادات والتناسل وبما أنهم نشأوا على الحياة البدوية لم يطمعوا في الاستيلاء على الحكم، لذلك تركوا المدن يتولى حكومتها الولاة الخاضعين للنفوذ الفاطمي وتقاسموا هم الأراضي الصحراوية المناسبة لرعي المواشي وللجو الحر الطليق الذي تربوا فيه منذ أجدادهم الأولين.

فروعهم

فحازت قبائل بني هلال نواحي تونس الجنوبية وانفردت قبائل بني سليم بأراضي ليبيا المجاورة للبلدان الساحلية، وفي الحقيقة إن بني سليم قد ظلموا في هذا التوزيع لان أراضي ليبيا اقل خصبا من أراضي تونس وابعد مسافة عن البلدان الغنية المجاورة لمنازلهم ولكنهم رضوا بذلك لسببين أولهما إن أكثرهم بقي في مصر والحجاز ولم يأت من رجالها سوى فريق قليل، فكانوا لهذا السبب اضعف نفوذا من بني هلال، وثانيهما لو رفضوا هذا التقسيم وحاربوا من اجله بني هلال التي جاءت بجميع فروعها لكانت النتيجة انكسارهم في حربها لا محالة.

بنو سليم الكعوب

وبنو سليم أصلهم من فرعين كبيرين، الكعوب وأبي الليل، فإما الكعوب فقد نزلوا في الجهات الممتدة من سرت إلى حدود تونس، ومن هؤلاء المحاميد والنوائل وترهونة وأولاد سليمان والرفلة.

أبو الليل

وأما أبو الليل فهم المسمون بالسعادى نسبة إلى امرأة يقال لها سعدى كانت بنتا لرجل عظيم من قبيلة زناتة التي حاربت العرب مع المعز بن باديس، وفي إحدى الوقائع اسر العرب سعدى فتزوج بها زعيم بني سليم المدعو (أبو الليل) وجاءه منها أولاد فنسبت ذريتهم إلى أمهم الأولى سعدى، ومن عادة العرب أنها تسمى الرجل أو الأبناء باسم النساء متى كن ذوات شرف أصيل وخلق عال، ومن هذا النوع المنذر بن ماء السماء احد ملوك العرب في الحيرة، وقد سكنت قبائل أبي الليل في أراضي برقة الممتدة من شرق سرت إلى السلوم، ومنهم في برقة قبائل العبيد والعرفاء والعواقير والحرابي، ومن فروعهم في مصر قبائل أولاد علي.

آخرة بنو زيري

وبعد دخول العرب إلى شمال إفريقيا وفوزهم على المعز بن باديس، انحل ملك بني زيري واضطربت أحوالهم واخذ منهم تونس شخص قوي النفوذ اسمه (عائد بن أبي غيث) فترك المعز القيروان وجاء إلي المهدية. وفي سنة 454 هـ. توفي المعز بن باديس وتولى بعده ابنه (تميم) فاقتصر حكمه على المهدية وطرابلس.

شاهملك

وفي أيامه جاء من مصر شخص يقال له (شاهملك) برفقة مائة فارس، فلما مر بمدينة طرابلس قاصدا المغرب اتفق انه وصل وأهاليها باغضون لحاكمهم، فوضعوه واليا محل المغضوب عليه. ولما سمع تميم بن المعز بخبره أرسل إليه قوة فحاصرت المدينة إلى أن فتحتها وأخذت شاهملك إلى المهدية أسيرا.

اختبارات

لقد كثرت في عهد الأسر المتنفذة الثورات. فكيف نفسر أسبابها بالنسبة للأفراد المغامرين؟ وبالنسبة للأهالي الضعفاء؟ ثم ما هي وسائل أولئك المغامرين للمحافظة على نفوذهم؟

حدثنا أولا عن أصل بني زيري وكيف توصلوا للإمارة وثانيا عن أسباب العداوة بين باديس والفاطميين وثالثا عن الطرق التي تخلص بها المعز بن باديس من نفوذهم ورابعا عن الوسائل التي انتقم بها المنتصر بالله من المعز بن باديس.

كيف تقاسم العرب الأراضي، ولم رضي بنو سليم بهذه القسمة الظالمة.

ليبيا في العهد الفاطمي

(60 – 59)

بعد تميم

ثم توفي الأمير تميم سنة 501 هـ. وكان عالي الهمة مثل أبيه المعز وانتقل بعده حكم بني زيري إلى أفراد آخرين من أسرته. ومن هؤلاء يحيى وعلي والحسن ولكنهم كانوا بلا سلطان نافذ.

الإفرنج

وفي سنة 543 هـ. غزا الإفرنج المهدية ودخلوها. فهرب الحسن منها تاركا جميع كنوزه غنيمة لهم إذ لم يقدر على أخذها معه. وبذلك انقرض ملك بني زيري بعد أن دام مائتين وسبع وستين. ومن أهم حوادثهم في ليبيا ما جرى لهم مع أسرة بني خزرون.

بني خزرون

وبنو خزرون أسرة بربرية الأصل كانت تسكن المغرب الأقصى أيام يوسف بن بلكين. وقد حاولوا هناك أن ينالوا السيادة على بعض من أراضي إمارته بالثورة والعصيان. فحاربهم يوسف بشدة حتى قضى على آمالهم. وأجبرهم على الفرار من وجهه.

قدومهم

وبعد مدة تمكنوا من المجيء إلى ليبيا خفية ونزلوا في جبل نفوسة تحت حماية إخوانهم الأباضية من رجال قبيلة زناتة كما فعل من قبل عبد الوهاب بن رستم. واتفق إن باديس بعد موت أبيه يوسف بن بلكين تجافى هو والفاطميون لإخراجهم الإقليم الطرابلسي من إمارته ولإرسالهم لولايتها

(يانس الصقلي) ومساعده (فتوحة) فاغتنم أبناء خزرون هذه الظروف المناسبة لتحقيق أطماعهم في الملك وحسنوا لأهالي جبل نفوسة فكرة الاستقلال الأباضي، حتى فازت آراؤهم بالقبول.

ثورتهم

واستعد رجال زناته جميعا للقتال، وكان الأمير باديس عزم على أن يأخذ طرابلس من الفاطميين بالقوة كما قلنا سابقا، فأرسل لواليهم يانس الصقلي ومساعده (فتوحة) جيشا كبيرا يقوده شخص يدعى (جعفر) فاشتبك معهم في معركة انتهت بقتل يانس وفر فتوحة إلى المدينة فتحصن فيها مدافعا، وبينما كان جعفر يحاصر المدينة حصارا قويا جاءته رسالة من حاكم قابس يفيده إن الزناتيين بزعامة فلفول بن سعيد بن خزرون قادمون لمحاربته في طرابلس، فتنحى جعفر عن الحصار خوفا من الاشتباك معهم.

فوزهم

ونكاية في باديس سلم فتوحة المدينة لفلفول وجماعته فدخلوها فائزين وتلقاهم الأهالي بالترحيب الزائد حبا في التخلص من حكم الغزاة المصريين الذين أتوا مع يانس، والمخالفين لهم في العادات والأخلاق.

فلفول

ثم إن فلفول أراد أن يثبت مركزه فاتحد أولا هو وفتوحة، على أن يشتركا في حكم طرابلس وأرسل للخليفة الفاطمي بمصر يعلن انضمامه لدولته.

يحيى

وبدلا من أن يرد عليه فيجعله أميرا على طرابلس بعث له واليا آخر اسمه (يحيى بن علي الأندلسي) وعدا تكليفه بالنظر في مصالح البلاد أمره أيضا

بان يزحف نحو الغرب ويأخذ قابس حسب الاتفاق الأول الذي تم من قبل بين الحاكم بأمر الله ويوسف بلكين، فتظاهر فلفول بالامتثال لأمر الخليفة وتودد ليحيى داسا ما في قلبه من غيظ لضياع آماله، ثم ذهب الثلاثة يحيى وفلفول وفتوحة إلى قابس يريدون أخذها من بني زيري، فدافعت عنها جنود باديس دفاع الأبطال.

رجوعه

وفشلت مساعي يحيى وأصحابه فعادوا جميعا إلى طرابلس بلا فائدة، ولما تأخر على يحيى مجي المدد من مصر ولم يبق لديه مال ينفقه على نفسه باع خيوله ليقضي بثمنها حاجاته الضرورية، وانتزع فلفول بعضا من خيوله غصبا ليحمله على ترك البلاد، وأمام هذه المشاكل رجع يحيى إلى مصر مسرعا وبقى فلفول وفتوحة منفردين بالحكم كحالتهما الأولى وحسبا إن الجو قد صفا لهم بالراحة وانقياد الناس، ولكنهما كانا في هذا الظن مخطئين إذ لم يطمئنا من الحروب إلا أمدا قصيرا حتى جاءتهما عساكر باديس زاحفة على سواحل طرابلس وصارت تحتل البلدان واحدة بعد أخرى إلى أن وصلت للمدينة وضربت حولها الحصار.

حيل فلفول

وبعد أن حاربهم فلفول قليلا تأكد انه اضعف قوة من خصمه، فأرسل للخليفة الفاطمي بمصر يطلب منه نجدة فلم يرد عليه بشيء، وفهم فلفول من سكوت الخليفة انه غير راض عن معاملته ليحيى، فتحول عن طاعته وأرسل لأحد أمراء الأندلسيين بقرطبة يسمى المهدي عبد الجبار، يرجو منه أن يلحق طرابلس بإمارته ويستعجله بقبول هذا الرجاء وان يسعفه بقوة من الجيش والأسطول ليقاتل بهما باديس قبل أن يتغلب عليه، فلم تنطلي حيلته أيضا على هذا الأمير.

موته

وظل فلفول ينتظر رجوع وفده من الأندلس حتى مات سنة 400 وهو يعتبر من أعظم أفراد الأسرة الخزرونية ومؤسس إمارتهم بطرابلس.

وروا

وبعد موته استلم مكانه أخوه المسمى (وروا) واستأنف هو وزناتة قتال باديس، وأخيرا صالحوه على أن يكونوا من الداخلين تحت طاعته، وبشرط أن يجعلهم حاكمين لبعض جهات إمارته. فقبل منهم ذلك وخصص لهم منطقة بالجزائر هي أراضي (قسطينة) و (نفزاوة) فرحلوا إليها بلا إبطاء مظهرين علامات الشكر والامتنان وعين باديس (محمد بن الحسن) واليا على طرابلس.

نقضه العهد

ويظهر إن النجاح الذي أصاب (وروا) ورجاله خيل إليه إن باديس لم يرض بتلك الشروط إلا لخوفه من قوتهم أو كأن أطماعهم لا تقف عند حد معقول. فنقضوا شروطهم الأولى ورجعوا إلى طرابلس ثائرين على باديس وحاربوه بشدة مرات كثيرة. ولكنهم لم يظفروا بنتائج غير إفناء رجالهم وضياع أموالهم وبقوا على هذا الغدر والنفاق. أحيانا يعلنون التوبة وأحيانا يتمسكون بالعصيان إلى أن مات رئيسهم (وروا) سنة 405 هـ..

خلافتهم

ولما تشاوروا في الذي يتولى زعامتهم من أبناء أسرته اختلفوا على الشخص اللائق لها اختلافا عظيما. ففريق قام يؤيد ابن (وروا) المسمى (خليفة) وفريق مال إلى عم خليفة وهو (خزرون بن سعيد) وصار كل حزب

يسعى لترشيح صاحبه بجميع الوسائل. وذاع هذا الخلاف بين الناس وسمع به محمد بن الحسن والي طرابلس ووجده فرصة ملائمة لتفريق كلمتهم فاستعمل دهاءه وأشعل نيران الفتنة بين الحزبين حتى نجح بمقصوده ووصل بهم النزاع الداخلي إلى درجة جعلتهم يتحاربون بالسيوف والشجار الدموي، ومات فيه من كلا الطرفين عدد وافر من الرجال المعتبرين.

نهايته

وأخيرا انتهى النزاع بفوز الذين هم مع خليفة وانخذل أصحاب خزرون فانصرفوا إلى بيوتهم حانقين. أما خزرون فأنه قد بادر بالهروب إلى مصر عساه يحرك قلب الخليفة الفاطمي. فيعطيه جنودا أقوياء وإمارة طرابلس وأموالا وإبلا يأتي بها فيأخذ الثأر من ابن أخيه. ويخضع البلاد ومن فيها لسلطانه.

خليفة

غير إن خليفة بن وروا كان ابرع سياسة من عمه ولم تخف عليه نواياه من الذهاب إلى مصر. فما كاد يتولى رياسة قومه حتى ترك مدينة (حصار القلعة) من أرض الجزائر الشمالية. وهيأ جيشا قويا فتح به طرابلس وعاصمتها سنة 414 هـ. وقتل فيها أعداءه في مذبحة مريعة. ثم اتخذ قصر الوالي (عبد الله بن الحسن) مقرا لإمارته الجديدة.

سياسته

وفي سنة 417 هـ. بعث إلى القاهرة يعلن خضوعه للدولة الفاطمية. ويطلب لقاء هذا الاعتراف أن تقره أميرا على طرابلس. فجاءه الرد بالموافقة والرضا وبقى عمه خزرون هناك حائرا ينتظر ما تأتي به الأيام من خير أو شر. ثم إن خليفة تحول جهة الغرب. وبدلا من أن تعجبه نفسه بتلك الموافقة

فيناشب خصمه باديس بالعدوان، بعث إليه أخاه (حمادا) رسولا تصحبه الهدايا النفيسة، وتزلف إليه بالكلام اللين إثباتا منه بعدم اغتراره بما تحصل عليه من نفوذ كبير وحماية الخليفة له.

اختبارات

سم لنا فرعي بني سليم، وأشهر قبائلها، ومواطن نزولها في جهات ليبيا.

ثم من هم بنو خزرون؟ وكيف توصلوا إلى مساعدة أهالي جبل نفوسة؟

وما هي الظروف التي أدت إلى تحالف فلفول وفتوحه؟ ولم اضطربت سياسة فلفول بين خليفة الفاطميين بمصر وأمير قرطبة بالأندلس؟

ولم كثر بعده حرب أسرته مع بني زيري؟

وضح لنا ما جرى بين آل خزرون من الخلافات بعد وفاة وروا، وكيف ظفر خليفة بالإمارة، ومبايعة الفاطميين ومصادقة باديس.

ليبيا في العهد الفاطمي

(62 – 61)

سعيد

وقد قام حماد بالمهمة خير قيام، ورجع لأخيه يبشر بقبول باديس لهداياه الثمينة وبرضائه في أن يكونا مرتبطين بحسن الجوار. فانسر خليفة بهذه النتائج الباهرة سرورا فائقا وانصرف يدير شئون إمارته وهو آمن من القلاقل والخوف إلى أواخر أيام حكومته. ولما جاء العرب من الشرق انضم إليهم واشترك معهم في حرب المعز بن باديس، وبقى مسيطرا على طرابلس إلى سنة 433 هـ. ففي هذا التاريخ استطاع ابن عمه سعيد بن خزرون أن يأتي من مصر إلى طرابلس، وهيج في دواخلها رجال زناتة الذين كرهوا حكم خليفة ثم زحفوا إلى المدينة ودخلوها، وهرب منها خليفة فائزا بنفسه من الهلاك، وبذلك زال ملكه بعد أن بقى نحو خمس وعشرين سنة، وظل سعيد في الإمارة مكان خليفة إلى سنة 446 هـ. وفي هذا العام ثار ضده خزرون بن خليفة المتقدم الذكر.

المنتصر

وبعد ثماني سنوات تغلب عليه بن عم أبيه المنتصر بن خزرون الهارب إلى مصر، وقد انضم المنتصر إلى قبائل بني هلال فحارب معها في الجزائر بقايا الدولة الحمدانية أمراء (صنهاجة) وهم من نسل بني زيري، حتى تمكن هو والعرب من الدخول لإحدى مدنهم الكبيرة المسماة (اشيرا) بأرض الزاب. وأعطى الناصر الحمداني ضواحي الزاب وريفها للمنتصر بن خزرون على أن يكون هذا العطاء صلحا بينهما بالكف عن القتال، غير أن الناصر لم يكن في وعده صادقا بل أراد به الحيلة والمكر إذ أرسل إلى عامله في (بسكرة)

المسمى (عروس بن هندي) يخبره قائلا إذا جاءك المنتصر بن خزرون فاقتله. ولما وصل المنتصر إلى تلك البلدة ليأخذ الأراضي المعطاة له احتال عليه (عروس بن هندي) حتى قتله سنة 460 هـ.

خليفة بن خزرون

وتولى مكان المنتصر في طرابلس (خليفة بن خزرون) ولكنه في آخر أيامه استبد في المصالح ولم يلتفت إلى الغزو والفتح أسوة بأخيه المنتصر. فكرهه الشعب الطرابلسي لدرجة إن الأهالي فضلوا عليه رجلا اسمه شاهملك الذي ذكرنا إخباره في تاريخ بني زيري.

شاهملك

ولما أخذت جنود باديس شاهملك رجعت إمارة البلاد إلى أسرة بني خزرون. واستلم الحكم في هذه المرة شخص من فرع (وروا) المتوفى سنة 405 هـ.

محمد بن خزرون

وهو محمد بن خزرون حفيد الأمير خليفة الذي علمنا سياسته مع باديس والفاطميين.

بني مطروح

وفي زمانه ظهر في مدينة طرابلس أفراد من أسرة كبيرة يقال لها بنوا مطروح فسلم إليهم شئون الحكم وجباية الضرائب ولما قوى نفوذهم ظلموا الأهالي باغتصاب حقوقهم واستبدوا بمصالح الحكومة لمنافعهم الخاصة ونظرا لمساعدة الأمير محمد لبني مطروح. بعدم قبوله أية شكاية ترفع إليه ضد أولئك الأفراد. خرج الشعب عن طاعة الجميع ونبذوهم من الحكم وطردوا الأمير محمد. وتصادف في أثناء هذه الثورة أن قدم لمدينة طرابلس سنة 543 هـ. رجل ذو وجاهة من قبيلة لمتونة كان قاصدا الديار الحجازية

للحج ورأى فيه أعيان البلاد علامات من الأخلاق الحسنة تدل على لياقته برئاسة الحكومة فأقاموه أميرا عليهم.

المجاعة

ومما زاد الأحوال في هذا العهد سوءا انه فوق مصائب الحروب الطويلة نزلت في البلاد مجاعة كبيرة مات بسببها من الناس خلق كثير. واختل من قلة الغذاء الأمن والنظام وعظم الخوف والسلب وانتشر في وجه الحكومة العصيان. وفر سكان المدينة القادرون على السفر إلى الأرياف ولم يبق فيها غير الفقراء والعاجزين.

روجير

وكان ملك صقلية المدعو (روجير) لا ينفك عن مهاجمة البلدان الكائنة على شواطئ تونس طمعا في خيراتها. فبعد أن دخل المهدية ونهب منها كنوز بني زيري أيام الأمير الحسن صار يترقب الاستيلاء على طرابلس ولكن الأيام المناسبة للغزو كانت لم تأته بعد. فلما سمع أخبار المجاعة الحاصلة فيها أرسل إليها أسطولا كبيرا. وما كادت قطعه ترسوا في ميناء المدينة حتى سحب الجند الذين في وسط الأسطول السيوف وهجموا إلى البر يريدون فتحها. وهنا تناسى الليبيون ما هم فيه من جوع وفقر وتجاروا إلى حمل السلاح وقابلوا عساكر (روجير) بالدفاع القوي. والتحموا معهم في معركة شديدة.

يحيى

وبينما هم منشغلون بحرب الإفرنج وبدلا من أن يقوم يحيى بن مطروح بواجبه الوطني في هذه اللحظة العسيرة. دخل هو وأنصاره مدينة طرابلس وصاروا يقاتلون فيها الذين ليسوا من حزبهم وبهذا الاختلاف البغيض جاءت

الأحوال ملائمة للغزاة، فتسلقوا أسوار المدينة وفتحوها وسيوفهم تحصد الرقاب، وتباعدت الحكومة الوطنية إلى الضواحي والجهات الداخلية، واخرج الإفرنج منها أيضا الباقي فيها من أسرة بني خزرون ثم نادوا بالأمان فرجع كثير من الفارين إلى منازلهم، وفرضوا على المدينة وملحقاته الجزية، وبعد أن بقى فيها الإفرنج ستة أشهر أحسوا بان العرب والليبيين يتجمعون لطردهم منها، فتفاهموا مع ابن مطروح وسلموا إليه إدارة المدينة على أن يحكمها باسم روجير) ملك صقلية ثم رجعوا بأسطولهم من حيث أتوا.

المغرب

وفي ذلك الحين كانت أحوال المغرب من جهة السيادة تتلخص في خمسة أمور:

ففي ليبيا استبد بنو خزرون مع أسرة بني مطروح بالحكم، ولما أحسوا بزوال بني زيري من المهدية رفضوا طاعة آخر أمرائهم المدعو الحسن ابن علي.

وانكمشت دولة بني زيري في بقعة صغيرة من الارض اقتصرت على عاصمتهم المهدية وأطرافها، وكان آخر أمرائهم في هذا الوقت هو الحسن ابن علي، وفي سنة 543 هـ. استولى روجير على المهدية وبذلك زال ملكهم.

واختلط العرب الجدد بالأجناس المغربية والليبية، وكان لغزوتهم تأثير اجتماعي كبير من ناحية انتشار اللغة العربية والعادات التي جلبوها من الحجاز ومصر كما أنهم أصبحوا ليبيين في ملابس الرجال والنساء، واخذوا هم أيضا عادات الليبيين في كثير من الأخلاق.

وقد حكم تونس وبعضا من شمال إفريقيا أمراء فرضوا أنفسهم بقوة السيف والمخاطرة، ولم يبق لهم سبيل يجمعون به الأموال غير تأليف

عصابة تحت قيادة زعيم جريء، ثم الهجوم به على مدينة حصينة أو قرية عزلا فتسلب حلي النساء وتفتك بالذي يعترضها بلا خوف من الله ولا خوف من الناس.

المرابطون

أما المغرب الأقصى فقد ظهرت فيه أيام المعز بن باديس دولة تسمى بالمرابطين ويقال لهم الملثمين أيضا لأنهم يضعون لثما على وجوههم كعادة العرب، واصل نشأتهم أنهم جلبوا من القيروان عالما ليرشد قبائل تلك الجهات إلى الدين، فنجح في تعليمهم حتى اتبعه الزعماء وغيرهم ومالوا إلى نشر آراء ذلك العالم بالقوة الحربية، فقدموا منهم شخصا تقيا يدعى (أبو بكر بن عمر) وسموه أمير المسلمين، ثم زحفوا إلى جيرانهم وصاروا يمتلكون الجهات شيئا فشيئا، حتى أقاموا مملكة عظيمة دامت نحو مائة سنة واستولت على الأندلس، وكان من أعظم أمرائها (يوسف بن تاشفين) وهو ابن عم أبي بكر بن عمر الملقب بأمير المسلمين، ثم يلي يوسف في الشهرة رجل آخر اسمه (على بن غانية) وهو كذلك من أعيان الملثمين الكبار وقد أزال ملكهم دولة الموحدين.

اختبارات

تكلم عن صلة كل من خليفة بن وروا والمنتصر بالعرب، وعن مدة حكمها وأخرتهما فيه، وعن الظروف السياسية التي انقرضت بها أسرة بني خزرون.

ثم ما الذي تعرفه من حوادث أسرة بني مطروح أيام محمد بن خزرون؟ وأيام الاحتلال الصقلي؟ وما هي حوادث المجاعة في ذلك العهد.

صف لنا غزوة جنود روجير لمدينة طرابلس وأسباب خروجهم منها وما عملوه في أثنائها.

ثم اشرح بعناية تامة الأمور الخمس التي ذكرناها عن أحوال المغرب وعلى الخصوص بما قلناه عن نشأة دولة المرابطين.

ليبيا في عهد الموحدين

(64 – 63)

الموحدين

ففي سنة 519 هـ. أيام يوسف بن تاشفين ظهر في المغرب بناحية السوس الأقصى رجل عالم بأوامر الدين اسمه (محمد بن تومرث)، قال للناس انه المهدي الذي ينتظرونه لرفع الفساد من الارض والرجوع بالدين إلى حالته التي كان عليها أيام النبي، فصدقه أناس كثيرون من قبائل تلك الجهات؛ ولهذا لقبوا أنفسهم بالموحدين إشارة إلى أنهم يوحدون الله سبحانه وتعالى.

حقيقة زعيمهم

ولكن بعض التواريخ الإسلامية تقول إن محمد بن تومرث كان رجلا خداعا أوهم العوام بأنه يرى الجنة والنار بعينه، وهو في هذا كذاب أشر، وإنما حاول أن يكون ملكا باسم الغيرة على الدين ليتحصل في الدنيا على حياة المترفين، ولقد مات بعد سنتين من ظهور دعوته لمرض أصابه، ولم ينل من مقصوده شيئا.

فتوحاتهم

ثم أراد الموحدون أن يجعلوا أهالي شمال إفريقيا تحت سيطرتهم، فاجتمعوا تحت قيادة تلميذه المسمى (عبد المؤمن) وثاروا على الدولة المرابطية بالسلاح الأبيض، ولم يطل حربهم إياها كثيرا حتى قضوا عليها واتجهوا إلى الشرق فاكتسحوا الذي جاء في طريقهم من أعداء وبلدان، ودخلت تونس والمهدية في حيازتهم.

ليبيا

ولما رأى الليبيون أنهم أصبحوا مجاورين لدولة إسلامية قوية اطمأنوا من رجوع الإفرنج، ثم تشاور زعماؤهم في مسألة علاقتهم بملك صقلية وأخيرا اتفقوا هم ويحيى بن مطروح على ترك طاعته والانضمام إلى دولة الموحدين، وذهب يحيى ابن مطروح مع وفد من أعيان طرابلس إلى المهدية حيث قابلوا فيها خليفة الموحدين الثاني المسمى (عبد المؤمن) وقدموا إليه المبايعة التي معناها الرضاء بخلافته، فقبل منهم هذه الرغبة مسرورا وأكرمهم بالمال وغير المال إكراما حاتميا، وبذلك دخلت ليبيا في حكم جديد.

يحيى

وصار يحيى واليا عليها من طرف الموحدين، وشغل وظيفته في هذا العهد نحو اثنتي عشرة سنة، وفي سنة 568 هـ. كبرت سن يحيى وعجز عن القيام بأعمال الحكومة، فاستأذن خليفة الموحدين الثالث (يوسف بن عبد المؤمن) في أن يترك منصبه لمن هو اقدر منه على القيام به، وطلب أن يسمح له بالذهاب إلى الحج فأجابه الخليفة إلى ذلك، ولما هيأ يحيى لوازمه غادر طرابلس وسافر بحرا في إحدى السفن التجارية إلى القطر المصري، واستقر سنة 568 هـ. بالإسكندرية، وقيل للمكان الذي نزل فيه مرسى مطروح.

صلاح الدين

وكان قبل هذا الوقت بسنتين تقريبا ظهر في مصر رجل من أشهر عظماء الإسلام تاريخا اسمه صلاح الدين الأيوبي، بطل الحروب الصليبية، وهو كردي الأصل كان أبوه حاكما لقلعة تركيت من ارض الموصل بالعراق، فأزال عن مصر الخلافة الفاطمية وبايع الخليفة العباسي ببغداد، وأسس في مصر دولة باسمه قيل لها الدولة الأيوبية.

تقي الدين

وكان لصلاح الدين ابن أخ اسمه تقي الدين تحدث يوما لأتباعه من الجند انه يريد أن يؤلف حملة يغزو بها شمال إفريقيا. وألح عليه رفاقه بتنفيذ عزمه لما في ذلك الغزو من المكاسب ونيل المفاخر. ولكن تقي الدين غير رأيه ففضل البقاء في مصر عن القيام بعمل لا يدري كيف تنتهي آخرته.

قره قوش

وكان له مملوك ابيض اللون يدعى (قره قوش). نفسه ميالة إلى الرقي في الحياة. فلما تأكد إن حملة سيده تقي الدين قد فشلت فكرتها. خطر له رأي يدل على ما في نفسه من روح الشجاعة والإقدام. وهو انه فكر بان يجمع أفرادا لا يهابون الموت مثله ويذهب بهم إلى الغرب خفية.

أماله

فأما أن يموتوا في سبيل المجد وأما أن يظفروا بتحقيق الآمال. ويتم له ما عجز عنه غيره ويحول من خادم صغير إلى بطل أمير. ولا عجب أن تحدثه نفسه بالسعي وراء الملك وهو مملوك. فانه من الجنس التركي الباسل. والمثل يقول ما فاز بالملذات إلا الشخص الجسور.

تنفيذها

وتحققت لقره قوش فكرته. فاستطاع أن يجد أشخاصا من أبناء جنسه اتخذوا حمل السلاح حرفة يقتاتون بها. فخرجوا من مصر لا يدري بهم احد وزحف بهم على واحة (سيوة) الكائنة الآن في الجنوب الغربي من وادي النيل.

احتلاله لفزان

ومنها استولى على زويلة عاصمة فزان في ذلك الوقت بعد أن قتل

أميرها ابن الخطاب الهواري. واستولى على بقية بلدان هذا الإقليم سنة 568 هـ. وأذاع انه تابع لدولة صلاح الدين الأيوبي وانه يحب على خطباء الجمع أن يدعوا للأيوبيين بالنصر. وتمكن بهذا الفوز من أن يجمع المال والرجال وقوى نفوذه واشتد عزمه.

غزو طرابلس

فزحف إلى طرابلس بقوة اكبر من قوته الأولى. ولما وصل إلى ريفها هجم عليها هجمات موفقة. فافزع الناس وقهر كل من جاء لحربه. وصار يتقدم باحتلال القرى رويدا رويدا إلى أن قرب من المدينة العاصمة.

محالفته للعرب

وكان بعض من عربان بني سليم لا يزالون محبين للغزو فانضم منهم إلى قره قوش قبيلتا ذياب وسليم وقد فرح قره قوش بمحالفتهم وازداد شجاعة وادخل رجالهما في جيشه. ثم تنحى عن مدينة طرابلس واتجه إلى جبل نفوسة يريد فتحه. وكان عليه أمير من طرف الموحدين اسمه مسعود بن زمام البلاط. فلما رأى اتحاد قره قوش مع العربان رضي بالانتساب إلى الدولة الأيوبية بمصر.

فتح المدينة

فتركه قره قوش ورجع إلى جهات السواحل وبعد أن حاصر المدينة مدة قصيرة فتحها. ونزل في قصر الحكومة الفاخر بعائلته. ولم تقف مطامعه عند هذا الحد من النجاح بل اخذ من جهات شمال إفريقيا بمساعدة العربان بلادا واسعة الأطراف لم يخضعها قبله بنو خزرون.

افساداته

ثم أطلق أيدي العرب لتسلب الناس أموالهم وتفسد الزرع والشجر

وتخرب القرى والعمران، ثم تأتي إليه قبائلها الغازية فتقاسمه الذي جمعته، حتــى امتــلأت خزائنه المدسوســة في قابــس بالنقود والنفائــس المغتصبة والعدوان.

استيلاؤه على ليبيا

وهكــذا تحــول قره قوش في مدة ســنتين تقريبــا من الحقارة إلــى الأمارة وأصبح في ليبيا السيد المطاع.

تمارين للتثبيت

مــن هو محمد بن تومرث؟ وماذا قيل عن حقيقة أفكاره؟ وكيف تم للموحدين تأسيس دولتهم؟ وكيف انضمت ليبيا إلى خلافتهم.

ثم لأية مناسبة ذكرنا كلا من صلاح الدين الأيوبي وابن أخيه تقي الدين.

لخص لنا ترجمة قره قوش عندما كان في مصر إلى أن تمت له السيطرة على ليبيا.